المشترك الحركي في الحديث الشريف

صحيح البخاري أنموذجاً

The Polysemous Physical Movement in Hadith

The Hadith of Al-Bukhari as an Example

إعداد

د.سوسن حسانين الهدهد

أستاذ مساعد في قسم أصول اللغة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بالقاهرة

المشـترك الحركـي في الحديـث الشريـف صحيح البخاري أنموذجًا

سوسن حسانين الهدهد

قسم أصول اللغة ،كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة، جامعة الأزهر

البريد الالكترونى : drsawsanalhodhod@azhar.edu.eg

الملخص:

تستخدم جميع لغات العالم وسائل التواصل غير اللغوي بجانب النظام اللغوي بقصد الإبانة والتعبير عن مكنونات النفس، وتُعَدُّ الحركة الجسدية من أهم الوسائل غير اللغوية، وقد تأتي مصاحبة للغة المنطوقة، وقد تحِل محلها، وتتعدد المعاني المختلفة للحركة الجسدية، وهو ما يمكن تسميته بالمشترك الحركي.

ويهدف البحث إلى توضيح المعنى المراد من المشترك الحركي في الأحاديث الواردة في صحيح البخاري في ضوء السياق بنوعيه الداخلي (اللغوي) والخارجي (المقامي أو غير اللغوي).

وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي.

وكان من أهم النتائج التي توصَّل إليها البحث:

- يُعَدُّ الحديث الشريف سِجِلًّا حافِلًا بالحركات الجسدية المتنوعة ذات الدلالات المتعددة.
- وردت الحركات البسيطة والحركات المُركَّبة ذات الدلالات المتعددة في الحديث الشريف.
- أوضح البحث رد فعل المتلقي كما ورد في الحديث الشريف، وكما حكاها الراوي.

الكلمات المفتاحية:الحركة الجسدية ـ المشترك الحركى ـ السياق - وسائل الاتصال.

The Polysemous Physical Movement in Hadith The Hadith of Al-Bukhari as an Example

Sawsan Hassanein Al-Hodhod
Origins of Language Department,Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Al-Azhar University
Email: drsawsanalhodhod@azhar.edu.eg

Abstract:
All languages of the world use non-linguistic means of communication in addition to the linguistic system for the purpose of showing and expressing self-components. The physical movement is considered as one of the most important non-linguistic means, it may come accompanied by the spoken language, and it may replace it. There are various meanings of the physical movement which can be called Polysemous physical movement.
The research aims to clarify the meaning of "the Polysemous physical movement" in the hadith of Al-Bukhari, in the context, in two ways the internal way (linguistic) and the external way (non-linguistic). And the researcher has used the descriptive analytical method in this research.
The most important results of the research are the following: The hadith is considered a great of record of various physical movements that have may connotation. In the hadith, there are simple movements and compound movements which have various connotations. The research, also, shows the reaction of the receiver in the hadith as it was narrated by the narrator of the hadith.
Keywords: Physical movement – the Polysemous physical movement – context – means of communication.

مقدمة :

تستخدم جميع لغات العالم وسائل التواصل غير اللغوى بجانب النظام اللغوى بقصد الإبانة والتعبير عن مكنونات النفس(١)، هذه الوسائل غير اللغوية قد تكون مصاحبة للأنظمة اللغوية وقد تكون مفردة(٢)، بمعنى أنها تستعمل كبديل للنظام اللغوي، وتنقسم الوسائل غير اللغوية إلى قسمين:

القسم الأول: أنظمة دلالية عضوية تعتمد على جسم الإنسان، وتتمثل فى: الإشارات، أو الحركات الجسدية، أو الأوضاع الجسدية ، كما تشمل التواصل اللمسى، والشمى، والذوقي، والسمعي الذي يتمثل في الكلام، والموسيقى، والغناء، والتواصل البصرى الذى يتمثل فى الفنون البصرية، مثل: نظام الخط والكتابة، والرسم، والنحت، والصور الفوتوغرافية، والسينما، والفن التشكيلي، فضلا عن الإشارات المرئية المؤلفة(٣)، وتعد هذه

---

(١) تتعدد وسائل التواصل والتعبير والإبانة عن مقاصد ومكنونات النفس، فمنها: التواصل اللفظي (اللساني)، والتواصل غير اللفظي (غير اللساني)، أما التواصل اللفظي فهو "الذي يتم عن طريق استخدام اللغة المنطوقة، وهذا الأسلوب يستخدم الألفاظ المنطوقة والرموز الصوتية" الاتصال والإعلام: صالح خليل أبو إصبع، دار آدم للدراسات والنشر والتوزيع - عمان، ط ٤، ٢٠٠٤م، ص ٣١.
والتواصل غير اللفظي، فهو الذي يتم عن طريق وسائل كثيرة "يستخدمها الإنسان، أو تصدر عنه بهدف نقل المعلومات أو الأفكار أو المشاعر، أو بهدف المساعدة على نقلها، أو الدقة فى التعبير عنها" أنا واللغة والمجتمع: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ١٢٩.

(٢) ينظر: دراسات تطبيقية في اللسانيات المعاصرة، د. ثناء محمد سالم، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط الأولى ٢٠٠٨م، ص١٢٩.

(٣) الإشارات الجسمية: د. كريم زكى حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١، ١٩٩١م، ص ٢٧، ٢٨ بتصرف - وينظر: فى علم اللغة العام: د. أبو السعود الفخرانى، دار اللوتس للطباعة، ص ٢٢- وما هى السيميولوجيا: برنارد توسان، ترجمة: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، ط ١، ١٩٩٤م، ص٢٠: ٣٣.

الأنظمة الدلالية لغات من حيث إنها تنقل رسالة من مرسِل إلى متلق من خلال استعمال شفرة نوعية، وذلك دون أن تخضع لقواعد بناء اللغة الكلامية كما يقننها النحو"[١].

القسم الثاني: أنظمة دلالية أداتية تعتمد على أشياء خارجة عن جسم الإنسان، منها الملابس، والحلي، وبعض الأدوات التى تحمل دلالات متباينة فى المجتمعات، مثل: المنديل، والمسبحة، والمروحة، والمظلة، والعصا، وغير ذلك[٢].

وسيقتصر البحث على (الحركات الجسدية) التى تندرج ضمن القسم الأول الذي يتمثل فى الأنظمة الدلالية العضوية التى تعتمد على جسم الإنسان، وتتعدد المصطلحات التي تصف الحركات الجسمية، منها: التعبير الجسمى، والتواصل الجسمى، ولغة الجسم أو الجسد، والحركات الجسمية، أو الجسدية واللغة الصامتة[٣]، والحركية الجسمية أو الإيمائية كما أطلق عليها السيميولوجى الإيطالى (أمبرتوإيكو) حين حدد (Kinesiques) كمجموعة دالة للإشارات المتفق عليها اجتماعيا، و(Kineme) للإيماءة كوحدة دُنيا دالة[٤].

---

(١) معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، كتاب جماعي، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م، ص ١١١.

(٢) الإشارات الجسمية: ص ٢٨ بتصرف.

(٣) ينظر: الإشارات الجسمية ص ٢٧، ٢٨ ودراسات فى علم اللغة: د. فاطمة محجوب، دار النهضة العربية، ١٩٧٦م، ص ١٥٩.

(٤) ما هي السيميولوجيا: برنارد توسان، ترجمة: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، ط ١، ١٩٩٤م، ص٢٧.

وتخضع الحركات الجسمية إلى حد كبير - مثل اللغة - إلى التواضع الاجتماعي، فهي ليست مسألة عضوية يستخدمها الإنسان كيفما شاء، وإنما هى نظام يتعلمه داخل المجتمع، ولها أنماطها الخاصة بالثقافة(١).

وقد أسهب علماء العربية فى الحديث عن الحركات الجسدية وأهميتها فى التواصل، فقد ذهب الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) إلى أن " الإشارة واللفظ شريكان، ونِعمَ العونُ هى له، ونِعمَ الترجمان هى عنه، وما أكثرَ ما تنوب عن اللفظ، وما تغنى عن الخط.... ولولا الإشارة لم يتفهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة"(٢).

وأكد فى موضع آخر أن الإشارة أبلغ من الصوت، وذلك فى تعليقه على قول الشاعر(٣):

والعـينُ تَنْطِـقُ والأَفْـوَاهُ صَـامِتَة ** حتَّى تَرى من ضَمِيرِ الْقَلْبِ تِبْيَانـاً

حيث قال: «ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت، فهذا – أيضاً – باب تتقدم فيه الإشارة الصوت»(٤)، وقال: «وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان»(٥)، وقد أشار (ابن جنيِ) (ت٣٩٢هـ) إلى أهمية الحركة الحركة الجسدية في فهم وجوه الكلام وأغراضه، حيث قال: «فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها، وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها: من استخفافها شيئا أو استثقاله، وتقبله أو

(١) ينظر: اللغة وعلوم المجتمع: د. عبده الراجحي، ط ١٩٧٧م، ص ٤٥- والإشارات الجسمية ص ٣١.

(٢) البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجى- القاهرة، ط ٧، ١٩٩٨م، (٧٨/١).

(٣) البيت من البحر البسيط، اخْتُلِف فى نسبته ، فنسبه الآبى فى الأنس والعرس ص ١٧٥ لعبد الله بن معاوية، ونسبه العباسي فى معاهد التنصيص (١/ ١٣١) لعمارة بن عقيل.

(٤) البيان والتبيين: (١/ ٧٩).

(٥) السابق(١/ ٧٩).

إنكاره ... وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقُصود، بل الحالفة على ما فى النفوس، ألا ترى إلى قوله[١]:

تقـولُ وصـكَّتْ وجْهَهَـا بيمِينِهـا * أبَعْلِـىَ هـذا بـالرَّحَى المُتَقـاعِسُ**

فلو قال: حاكيًا عنها: أبعلى هذا بالرحى المتقاعس – من غير أن يذكر صك الوجه – لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة، لكنه لما حكى الحال، فقال: (وصكت وجهها) علم بذلك قوة إنكارها، وتعاظم الصورة لها، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف ... وقد قيل (ليس المخبَر كالمعاين)[٢].

ويتضح من كلام ابن جنى أن: الحركة الجسدية (فصكت وجهها) جاءت مصاحبة للمنطوق، لتوضيحه وتأكيده.

وقد أشار (ابن جنى) – أيضا- إلى أن الحركة الجسدية قد تحل محل اللغة المنطوقة، وذلك فى سياق استشهاده بقول الشاعر[٣]:

وقالتْ لـه العينَانِ: سَمْعاً وطَاعَـة * وأبْـدَت لـــهُ كالـــدُرِّ لمـــا يُثَقَّـــب**

وعلق على ذلك بقوله: «فأما قوله: وقالت له العينان سمعا وطاعة فإنه وإن لم يكن منهما صوت، فإن الحال آذنت بأن لو كان لهما جارحَةُ نُطْقٍ لقالتا: سمعاً وطاعة»[٤].

فقد أغْنَت الحركة الجسدية فى هذا المثال عن اللغة المنطوقة، فجاءت الحركة الجسدية بديلا عن الكلام.

---

(١) البيت من الطويل، اختلف فى قائله، فنسبه المبرد فى الكامل (٥١/١) لأبى محلم السعدى، وفيه (وصكت صدرها) ونسبه المرزوقى فى شرح ديوان الحماسة (١/ ٦٩٦) للهذلول بن كعب العنبرى.

(٢) الخصائص (٢٤٦/١، ٢٤٧).

(٣)البيت من الطويل ، وورد بلا نسبة فى لسان العرب وفى تاج العروس بلفظ:(وحدرتا كالدر) ، مادة(ق و ل)

(٤) الخصائص (٢٥/١).

وقد وقع النوعان- كون الحركة الجسدية معضدة للغة المنطوقة، ومؤكدة لها، أو كونها حلت محلها- فى الأحاديث الواردة فى صحيح البخارى، وعلى الرغم من أسبقية القدامى فى الإشارة إلى ظاهرة الحركة الجسدية وأهميتها فى التواصل، إلا أن الفكرة تبلورت بوضوح على يد علماء الغرب المحدثين، وقعَّدوا لها، أمثال: فيرث وغيره،

وجعلوا الحركات الجسدية علماً مستقلاً، أطلقوا عليه (علم الحركة أو علم الكينات)[١].

وكما أكد دى سوسير على أن للكلمة جانبين: مادي وهو الدال، أى: الصورة الصوتية، ومعنوى وهو المدلول، أى: الصورة الذهنية التى تتولد فى النفس عند ورود الدال عليها، فكذلك الحركة الجسمية يكون لها دال، وهو الصورة التشكيلية التى تتجلى عليها الحركات، حركة اليد، أو العين، أو الرأس، أو الفم أو غيرها، ومدلول وهو الصورة الذهنية المعنوية التى تسترفد دلالتها من الدال الحركى، فكلتاهما أى: الكلمة فى اللغة الصائتة، أى (المنطوقة)، والحركة فى اللغة الصامتة (غير المنطوقة) تأتلف من دال ومدلول، والملمح الفرَّاق بينهما غير متعين فى المدلول، بل يتضح فى ماهية الدال، إذ إنه فى اللغة المنطوقة صوتى ذو طبيعة رمزية، وفى غير المنطوقة حركى ذو طبيعة رمزية أيضاً[٢]، وكما أن للفظ معنيين أو أكثر – والسياق هو الذى يحدد المعنى المراد – كما هو الحال فى ظاهرة المشترك اللفظى فى

---

(١) كان الأمريكى (بيردوسل) (Birdwhistell) أول من ابتكر علم الإشارات الجسمية، وعرفه بأنه العلم الذي يختص بوصف أوضاع الجسم وحركاته، والحركة الجسمية عنده مرتبطة بثقافة المجتمع. ينظر: دراسات تطبيقية فى اللسانيات المعاصرة: د. ثناء محمد سالم، دار الصحوة، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ١٣٧، ١٣٨ – والإشارات الجسمية ص ٦٧.

(٢) لغة الجسم وأثرها فى الإبانة، نماذج من التراث اللغوى والبلاغى: مهدى أسعد عرار، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٣٣، ع ١، ٢٠٠٦م، ص ١٠٧ بتصرف.

الألفاظ، وللأسلوب معنيان أو أكثر ويحدد السياق المعنى المراد كما هو الحال في المشترك الأسلوبى[١].

فكذلك الحركة الجسدية قد تحتمل معنيين أو أكثر، ويأتى السياق ليحدد المعنى المراد، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه (المشترك الحركى)[٢]، ويمكن تعريفه بأنه: (أن تدل الحركة الجسدية على معنيين أو أكثر ويحدد السياق المعنى المراد من هذه المعانى)

وسأقوم فى هذا البحث بتطبيق ظاهرة المشترك الحركى على الأحاديث الشريفة الواردة فى صحيح البخاري معتمدة على السياق، حيث اقتصر البحث على الحركات الجسدية ذات الدلالات المتعددة، وقد دفعنى إلى هذه الدراسة عدم وجود بحث أو دراسة تحمل هذا العنوان(المشترك الحركى) رغم أهمية هذه النوعية من الحركات ذات الدلالات المتعددة فى التواصل.

وتعد الحركات الجسدية أحد عناصر التواصل غير اللغوى بين الأفراد، حيث تتمثل هذه العناصر فى (مرسل، ومتلقي (مستقبل)، ورسالة، ومضمون تحمله، ووسيلة وهى الحركات الجسدية، وسياق اجتماعى يحدث

---

(١) رسالة دكتوراه للباحثة بعنوان "المشترك الأسلوبي في الخبر والاستخبار فى ضوء ما ورد في القرآن – دراسة تحليلية"، مخطوط في كلية الدراسات الإسلامية والعربية، فرع البنات بالقاهرة- جامعة الأزهر. ٢٠٠٩م.

(٢) قمت بالبحث عن مصطلح (المشترك الحركى) فلم أجد أحدًا تحدث عنه سوى د. مهدى أسعد عرار فى كتابه (البيان بلا لسان) فى ثنايا حديثه عن الحركة الجسدية، حيث أشار إلى أنه يمكن أن تحتمل الحركة الجسدية معنيين أو أكثر وهذا ما يمكن أن نسميه (بالمشترك الحركى) لكن أمثلته التى عالجها كانت لظاهرة الحركة الجسدية عامة دون أن يتعرض فيها للسياق ولا للمشترك الحركى إلا فى مثالين فقط أشار إلى أن الحركة الجسدية فى المثالين تحتمل معنيين.البيان بلا لسان، د. مهدى أسعد عرار، جامعة بيرزيت، ص ٢١٠- وينظر أيضا بحثه المعنون: لغة الجسم وأثرها فى الإبانة، نماذج من التراث العربى والبلاغى، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٣٣، ع ١، ٢٠٠٦م، ص ١٠٧.

فيه التواصل)(١) ، وتنوعت الحركات الجسدية الواردة فى الحديث الشريف والتى تحمل دلالات متعددة، فهناك حركات بالرأس، وحركات باليد، وبالوجه، والعينين، وغير ذلك، وقد يؤدى كل عضو من هذه الأعضاء بمفرده حركة ذات دلالات متعددة يحدد السياق أحد هذه الدلالات، وتسمى هذه الحركة حينئذ حركة بسيطة، وقد يشترك مع غيره من الأعضاء فى أداء بعض الحركات للدلالة على معان متعددة يحدد السياق إحداها، وتسمى بالحركة المركبة؛ لذا قسمت البحث إلى قسمين:

القسم الأول : المشترك الحركى فى الحركات الجسدية البسيطة.

القسم الثانى: المشترك الحركى فى الحركات الجسدية المركبة.

وقمت بحصر الحركات الجسدية ذات الدلالات المتعددة فى الأحاديث الواردة فى صحيح البخارى، ثم قمت بتصنيفها إلى حركات بسيطة وحركات مركبة، ثم دراستها دراسة تحليلية تتمثل فى توصيف الحركة الجسدية، مع ذكر المعانى المختلفة لكل حركة، وتوضيح المعنى المراد فى ضوء السياق بنوعيه(٢)اللغوى (الداخلى) والخارجى(المقامى) مع بيان رد فعل المتلقي

---

(١) ينظر تفصيل ذلك فى : السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، د. وائل بركات، مجلة جامعة دمشق،مج ١٨،ع ٢، ٢٠٠٢م، ص ٥٧ وما بعدها- والاتصال والإعلام، صالح خليل أبو إصبع، دار آدم للدراسات والنشر والتوزيع - عمان، ط الرابعة، ٢٠٠٤م، ص ٣١ وما بعدها.

(٢) قسم (k.ammer) السياق أربعة أقسام: السياق اللغوى، والسياق العاطفى، وسياق الموقف، والسياق الثقافى. ينظر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر ص ٦٩ وما بعدها، عالم الكتب، ط الخامسة، ١٩٩٨م - ومبادئ اللسانيات ، د.أحمد قدور، ص ٢٥٧ ، دار الفكر- دمشق، ط الثالثة، ٢٠٠٨م- وأثر السياق فى فهم النص القرآنى، د. عبد الرحمن بودرع ص٧٣، بحث منشور فى مجلة الإحياء، ع٢٥، جمادى الثانية١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م. والسياق اللغوى هو: "كل ما يتعلق بالإطار الداخلى للغة وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية وهى تسبح فى نطاق التركيب "علم اللسانيات الحديثة، عبد القادر عبد الجليل، ص ٥٤٢، دار الصفاء للنشر- عمان، ٢٠٠٨. بينما قسم (فيرث) السياق قسمين: السياق الداخلى ==

(الفعلي – أو القولي) كما رصده الرواة[1]، معتمدة فى ذلك على المنهج الوصفي التحليلى.

ويقع البحث فى مقدمة ومبحثين وخاتمة.

أما المقدمة فهي لأهمية الموضوع والدافع إليه ومنهج البحث وخطته.

المبحث الأول: المشترك الحركى فى الحركات الجسدية البسيطة.

المبحث الثاني: المشترك الحركى فى الحركات الجسدية المركبة.

وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول : الحركات الجسدية الثنائية.

المطلب الثاني : الحركات الجسدية فوق الثنائية.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج، ثم المصادر والمراجع.

==

للحدث اللغوى، ويتمثل فى العلاقات اللغوية بين الكلمات داخل تركيب معين، والسياق الخارجى ويتمثل فى السياق الاجتماعى أوسياق الحال بما يحتويه وهو شكل الإطار الخارجى للحدث الكلامى، وقسم بعض علماء اللغة المعاصرين السياق إلى قسمين: السياق اللغوى، وسياق الحال . ينظر: الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، د. حلمى خليل، ص ١٦١، دار المعرفة الجامعية، ط الثانية،١٩٩٨.

وقد اتبع الأستاذ الدكتور: عبد الفتاح البركاوي – رحمه الله – تقسيم فيرث للسياق إلى نوعين: سياق داخلى، وسياق خارجى، إلا إنه أطلق على السياق الداخلى : السياق اللغوى، وعرفه بأنه: المستفاد من عناصر مقالية داخل النص، والسياق الخارجى وعرفه بأنه: المستفاد من العناصرغير اللغوية التى تصاحب النص. ينظر: السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، د.عبد الفتاح البركاوى، ص ٣٠.

وقد اتبعت هذا التقسيم فى البحث

واستعمل بعض العلماء ـ بدلا من مصطلح السياق ـ مصطلح القرائن وقسموها إلى مقالية وحالية. ينظر تفصيل ذلك فى اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص ١٩١،دار الثقافة، ط ١٩٩٤.

(١) لم أبين رد فعل المتلقى فى الأحاديث التى لم يرصد الرواة فيها رد فعل المتلقى

المبحـــث الأوَّلْ:

المشترك الحركي في الحركـات الجسدية البسيطة

يُقصَدْ بالحركة الجسدية البسيطة: الحركة الجسدية المفردة التي تعتمد على حاسة واحدة، أو عضو واحد من أعضاء الجسم في إيصال رسالة ذات دلالة(١).

وقد وردت الحركات الجسدية البسيطة التي تحمل دلالات مُتعدِّدة في الأحاديث الشريفة الواردة في صحيح البخاري، ويُمكن توضحيها فيما يأتي:

(١) جلد الوجه:

الجلد هو الغلاف أو الغشاء الذي يُغطي جسم الإنسان ويمكن أن نعتبر جلد الوجه من أعضاء الوجه التواصلية التي يمكن أن تمدنا بدلالات مختلفة(٢)، حيث تطرأ على جلد الوجه تغيُّرات تخبر عن الحالة النفسية والانفعالات المختلفة التي يتعرض لها الفرد من سرور أو حزن أو خجل أو غيظ أو غير ذلك(٣).

فقد يحمرّ الوجه خجلًا، أو غيظًا، أو غضبًا، أو خوفًا، أو فرحًا، وبشرًا، وقد يَصْفَرُّ مرضًا أو حزنًا أو يَسْوَدُّ خوفًا أو مرضًا أو غيظًا، ثمَّ يأتي السياق ليُحدد المعنى المُراد من هذه التغيُّرات.

وقد نقل لنا الرواة الأمناء بعض هذه التغيرات التي طرأت على وجه النبي ﷺ في مواقف مختلفة:

---

(١) دراسات تطبيقية في اللسانيات المُعاصرة، ص١٤٢. بِتَصَرُّفْ.

(٢) الإشارات الجسمية، ١٥٤ بِتَصَرُّفْ.

(٣) ينظر: الاتصال اللغوي عن طريق الجلد، أحمد مختار عمر، مجلة العربي، ع٣٥٧، أغسطس، ١٩٨٨م، ص١٠٨ : ١١٠.

أ- **احمرار الوجه غضبًا:**

إنَّ احمرار جلد الوجه له دلالات متعددة، فقد يحمر الوجه خجلًا، أو فرحًا وبشرًا، أو يحمر غضبًا أو خوفًا، أو غيظًا وكمدًا، أو مرضًا، أو إثر نوم.

وقد ورد احمرار الجلد في مواقف الغضب في أربعة مواضع فى صحيح البخارى، يمكن توضيحها فيما يأتي:

١-ما رواه زيد بن خالد الجُهَنى من «أنَّ النبيَّ ﷺ سأله رجلٌ عن اللُّقَطَة ، فقال: اعْرَف وِكَاءَها –أو قال: وِعَاءها- وعِفَاصَها ثم عرّفها سنة ثم اسْتَمْتِع بها، فإن جَاءَ رَبُّهَا فأدِّها إليه، قال: فَضَالَّةُ الإبِلِ؟ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّتْ وِجْنَتَاهُ-أو قال: احمرَّ وجهه - فقال: وَمَالَكَ وَلَها؟ معها سِقَاؤُها وحِذَاؤُهَا تَرِدُ الماءَ وتَرْعَى الشَّجر، فَذَرْهَا حتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا، قال: فَضَالَّة الغنم؟ قال: لك أوْلِأَخِيكَ أوْ لِلذِّئْب»[(١)].

التوجيه:

يصور هذا الحديث حال المصطفى ﷺ عندما جاءه رجل فسأله عن اللقطة وحكمها، فأجابه المصطفى ﷺ بأن يعرف وِكاءها، والوِكَاء -بكسر الواو- ما يُشد به الكيس وغيره[(٢)]، أو ما يُربَط به[(٣)]، أو قال: وِعَاءَهَا

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، حديث رقم ٩١.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، طبعة دار المعارف، مادة (و ك أ).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام أحمد علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار المطبعة السلفية، القاهرة، ط. الثالثة، ١٤٠٧هـ، (٢٢٥/١).

وِعفاصها، ذهب أبو عبيد إلى أن العِفَاص هو «الوعاء الذي يكون فيه النفقة إن كان من جلد أو من خرقة أو غير ذلك، وخصَّ بعضهم به نفقة الراعي»(١).

ثم يعرفها سنة، ثم يستمتع بها(٢)، فإن جاء صاحبها أداها إليه، ولما سأل السائل عن ضالة الإبل(٣)، غضب النبي ﷺ حتى احمرَّت وجنتاه(٤)، أو قال: احمرَّ وجهه، ثم قال للسائل: ومالك ولها؟ معها سقاؤها وحذاؤها(٥) تَرِدُ الماء وترعى الشجر فذرْها حتى يلقاها ربها، أي " أنها بعيدة المذهب فى الأرض طويلة الظمأ، ترد الماء وترعى دون راع يحفظها" (٦)ولما سأل عن ضالة الغنم أجابه المصطفى ﷺ بأنها له أو لأخيه أو للذئب، قال ابن حجر:

---

(١) لسان العرب، (ع ف ص).

(٢) وفي رواية: (فاسْتَنْفِقْها) حديث رقم ٢٤٢٧، وفيه دلالة على أن الملتقط يتصرف فيها. فتح الباري (٩٨/٥) وفي رواية إسماعيل بن عبد الله: (يقول يزيد: إن لم تعرف استنفق بها صاحبها [ملتقطها] وكانت وديعة عنده). حديث رقم ٢٤٢٨.

(٣) الضالة "ماضل من البهيمة الذكر والأنثى".الصحاح – تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الرابعة ١٩٩٠ مادة(ض ل ل)ـ وينظر:لسان العرب نفس المادة.

(٤) الوِجْنَة: مَا ارتفع من الخدين للشدق والمحجر ... وقيل: ما نتأ من لحم الخدَّين بين الصُّدْغَيْن وكَنَفَي الأنف»، لسان العرب (و ج ن).

(٥) السِّقَاء:قال الجوهرى: "قال ابن السكيت:السقاء يكون للبن والماء " الصحاح مادة(س ق ي)، وقال ابن منظور: " عُنِيَ بالحذاء: أخفافها ، وبالسِّقَاء يريد أنها تقوى على ورود المياه، وقال ابن الأثير: الحذاء ـ بالمدـ النعل، أراد أنها تقوى على المشى وقطع الأرض، وعلى قصد المياه وورودها، ورعى الشجر، والامتناع عن السباع المفترسة، شبهها بمن كان معه حِذَاء وسِقَاء فى سفره" لسان العرب ـ مادة (س ق ي)، وذهب ابن حجر إلى أن المراد من السقاء فى الحديث: "أجوافها لأنها تشرب فتكتفي به أيامًا، وقيل: عنقها" فتح الباري (٢٢٥/١)، (٩٩/٥).

(٦) لسان العرب ـ مادة(ض ل ل).

«فيه حث له على أخذها؛ لأنه إذا علم أنه لم يأخذها بقيت للذئب كان ذلك أدعى له إلى أخذها»[(١)].

فاحمرار الوجه أو الوجنتين مشترك حركي، فقد يحمر الوجه خجلًا، أو فرحًا وبشرًا، أو يحمر غضبًا، أو غيظًا.

ولكن احمرار وجه النبي ﷺ هنا – كان غضبًا، ذهب ابن حجر إلى أن سبب غضب النبي ﷺ «إما لأنه نهى قبل ذلك عن التقاطها، وإما لأن السائل قصَّر في فهمه فقاس ما يتعين التقاطه على ما لا يتعيّن» [(٢)].

ومما يدل على أن احمرار وجه النبي ﷺ كان غضبًا: السياق اللغوي الذي يتمثل في:

١- لفظة (فغضب) التي حكاها الراوي، فهى قرينة لفظية على أن احمرار وجه النبي ﷺ كان غضبًا.

٢- قوله ﷺ: مستفهمًا (وما لك ولها؟) والاستفهام على غير حقيقته، حيث يراد به الإنكار، والمعنى: «ليس لك هذا»[(٣)]، ويدلّ على ذلك ما جاء بعده: (فذرها حتى يلقاها ربها) فكأنه إنكار بمعنى النفي.

---

(١) فتح الباري (٥/٩٩)، وفي رواية سليمان بن بلال: «خُذْهَا فإنما هي لك أو لأخيك أو للذئب»، صحيح البخاري، كتاب اللقطة، باب ضالة الإبل، حديث رقم ٢٤٢٨.

(٢) فتح البارى (١/ ٢٢٥) .

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخارى ، الإمام بدر الدين أبى محمد محمود بن أحمد العينى، إدارة الطباعة المنيرية (١٢/٢٧٠).

٣- قول الراوي: (فتمعَّر وجه النبي ﷺ) في رواية سليمان عن ربيعة[١] حيث إن (تمعَّر الوجه) يعني تغيره في حالة الغضب، قال ابن منظور: «غضب فلانٌ فتمعَّر لونه ووجهه: تغيَّر وعَلَتْه صفرة، وفي الحديث (فتمعَّر وجهه) أي: تغيَّر، وأصله: قلة النضارة وعدم إشراق اللون من قولهم: مكان أمْعَر وهو الجدب الذي لا خصب فيه...» [٢] كذا قال الجوهري[٣]» وذهب العيني إلى أنه قد قال بعض العلماء: «لو رُوِى بالغين المعجمة لكان له وجه، أي صار بلون المغرة وهو حمرة شديدة إلى كُمودة»[٤]، قال ابن منظور: «المُغْرَة لون إلى الحُمْرَة وقيل: المَغْر: حُمْرَة ليست بالخالصة»[٥].

٢-ما روى عن عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (أَنَّ رَجُلًا من الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْر عند النبي ﷺ في شِرَاجِ الحرَّة التي يَسْقُونَ بها النَّخْل، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: سَرِّحِ الْمَاءَ يَمُرُّ فَأَبَى عَلَيْه، فاخْتَصَمَا عِنْدَ النبي ﷺ، فقال رسُولُ الله ﷺ للزُّبَيْر: اسْقِ يا زُبَيْر، ثُم أَرْسِلِ الْمَاءَ إلى جَارِكِ، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنْ كَانَ ابن عَمَّتِكَ؟ فتلوَّن وجْهُ رَسُولِ الله ﷺ ثم قال: اسْقِ يا زُبير ثم احْبِسِ الْمَاءَ حتَّى يَرْجِعَ إلى الجَدْرِ، فقال الزبير: والله إني

(١) صحيح البخاري، كتاب اللقطة، باب ضالة الإبل، حديث رقم ٢٤٢٧.
(٢) لسان العرب مادة (م ع ر).
(٣) الصحاح – تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الرابعة ١٩٩٠ (م ع ر).
(٤) عمدة القارى (١٢/ ٢٧٠).
(٥) لسان العرب (م غ ر).

لأحسب هذه لآية نزلت في ذلك: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥][1].

التوجيه:

يحكى هذا الحديث حال المصطفى ﷺ عندما اختصم عنده رجلان، هما: الزُّبير ورجل من الأنصار في شراج الحرة[2] التي يسقون بها النخل، واحتكما إليه ﷺ، فحكم للزُّبير بالسقاية أولًا ثم طلب منه أن يرسل الماء إلى جاره الأنصاري، فرد ا لأنصاري معترضًا مُجَادِلًا منا كفا: يا رسول الله أنْ كان ابن عمتك؟[3] أي لأجل ذلك حكمت له؟

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الشرب والمساقاة، باب سكر الأنهار، حديث رقم ٢٣٥٩.

(٢) شراج الحرة، شرَاج جمع شَرْج مثل: بحَار وبَحْر والمراد بها: مسيل الماء، وإنما أضيفت إلى الحُرَّة لكونها منها، والحرة موضع بالمدينة. فتح الباري (٤٤/٥).

(٣) (أن كان ابن عمتك) بفتح همزة (أن)، وهي للتعليل، أي: من أجل أن، ذهب البيضاوي: إلى أنه يحذف حرف الجر من (أن) كثيرًا تخفيفًا، والتقدير: (لأن كان).عمدة القاري (١٧٧/٩) ووردت بالمد في رواية مخلد بن يزيد الحرَّاني: (آن كان) على الاستفهام الإنكاري. صحيح البخاري، كتاب الشرب والمساقاة، باب شرب الأعلى إلى الكعبين، حديث رقم ٢٣٦٢، وهي مثل قوله تعالى: ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ (القلم: ١٤) ويمكن الاستئناس في ذلك بما قاله البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ حيث قرئ «آن كان» على «استفهام» ، أي: لأن كان ذا مال كَذَّب، أو تطيعه لأن كان ذا مال» تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي ناصر الدين البشراري البيضاوي، حققه الشيخ: عبد القادر عرفات، دار الفكر (بيروت - لبنان)، ١٩٩٦م، (٣٧٠/٥). "وبكسر الهمزة على أنها شرطية والجواب محذوف" السابق (٣٧١/٥) وكأن المعنى في الحديث الشريف: لئن كان ابن عمتك حكمت له . عمدة القاري (١٧٧/٩). ولم ترد هذه القراءة (آن كان ذا مال وبنين) في مختصر في شواذ ==

فقد كان الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابن السيدة صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد عرض عليهما صلحًا أول الأمر، وهذا ما أكدته الرواية الأخرى[١]: (وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة) أي: أشار النبي ﷺ على الزبير والأنصاري -في أول الأمر- بأمر لهما فيه سعة، أي توسع على سبيل المصالحة، فلما لم يقبل الأنصاري الصلح، حكم للزبير بما هو حقه فيه[٢] فتلوَّن وجه النبي ﷺ لما كان من رد الأنصاري، يقول ابن منظور: «اللون هيئة كالسواد والحمرة، ولوَّنته فتلون»[٣].

وتلوُّن الوجه مشترك حركي، فقد يتلون الوجه غضبًا، أو خجلًا، أو فرحًا، أو خوفًا، أو كمدًا وغيظًا، وتلوُّن وجه النبي ﷺ -هنا- كان غضبًا، لاعتراض الأنصاري ومناكفته ومجادلته له ﷺ، قال ابن حجر: «قوله: (فتلون وجه رسول الله ﷺ)، أي: تغير، وهذا كناية عن الغضب»[٤].

ويدلّ على ذلك:

==

القرآن لابن خالويه، وقال البنا الدمياطي: «قرأ (أنْ كان) بهمزة واحدة مفتوحة على الخبر: نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص والكسائي ... والباقون بهمزتين على الاستفهام [أأنْ كان] وسهَّل الثانية ابن عامر وأبو جعفر ورُويس، وفصل بالألف أبو جعفر». إتحاف فُضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، البنا الدمياطي، وضع حواشيه: أنس مهرة، ص٥٥٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠١م.

(١) حديث رقم ٤٥٨٥.

(٢) ينظر: فتح الباري (٤٧/٥).

(٣) لسان العرب (ل و ن).

(٤) فتح الباري (٤٥/٥) – وينظر: عمدة القاري (٢٨٣/١٢).

أ- السياق اللغوي الذي يتمثل في قول الراوي في رواية أخرى: (فلما أحفظ الأنصاريُّ رسول الله ﷺ اسْتَوْعَى للزُّبير حقه في صريح الحكم) [1]. ومعنى (أحفظ): أغضب، قال الجوهرى: «الحفيظة: الغضب والحمية ... وقد أَحْفَظْتُه فاحتفظ، أي: أغضبته فغضب»[2]، أي لما أغضب الأنصاري رسول الله ﷺ بقوله: آن كان ابن عمتك؟ - وكان ﷺ قد عرض عليهما صُلحًا في أول الأمر- استوعى للزُّبير حقه.

ب- السياق الخارجي الذي يتمثل في سبب نزول الآية، حيث روى «أن الزبير بن العوام خاصم رجلًا فقضى رسول الله ﷺ للزبير، فقال الرجل: إنما قضى له أنه ابن عمته فأنزل الله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[3]. فقد دلت الآية على أن من لم يرض بحكم المصطفى ﷺ فهو غير مؤمن، قال الإمام العينى:" فيه توبيخ من جفا على الإمام والحاكم ومعاقبته ؛ لأنه ﷺ عاقبه بما قال بأن استوعى للزبير حقه، ووبخه الله تعالى فى كتابه بأن نفى

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم البين، حديث رقم ٢٧٠٩، وينظر أيضًا: حديث رقم ٤٥٨٥.

(٢) الصحاح (ح ف ظ) – وينظر: لسان العرب (ح ف ظ).

(٣) أسباب النزول ص ١٢٢ .

عنهم الإيمان حتى يرضو بالحكم ، فقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [النساء: ٦٥]"[١] .

٣- ما روي عن ابن الزبير من (أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ في عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ في غَزْوَة الفَتْح، فَفَزِعَ قَوْمُهَا إلى أُسَامَةَ بنِ زيدٍ يَسْتَشْفَعُونَهُ، قال عُرْوةُ: فلما كَلَّمَهُ أُسَامةُ فيها تَلَوَّن وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ، فقال: أَتُكَلِّمُنِي في حَدٍّ من حُدُودِ الله؟ قال أسامة: اسْتَغْفِرْ لي يا رسُولَ الله، فَلَمَّا كَانَ العشيُّ قَامَ رَسُولُ الله ﷺ خَطيبًا، فَأَثْنَى على الله بِمَا هُوَ أَهْله، ثم قال: أما بعد فإنَّمَا أَهْلَكَ الناسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُم كَانُوا إذا سَرَقَ فيهم الشريفُ تَرَكُوه، وإذَا سَرقَ فيهم الضَّعيفُ أقاموا عليه الحَدَّ، والذي نفسُ محمدٍ بيدهِ لو أن فاطمةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَها، ثم أمر رَسولُ الله ﷺ بِتلكَ المرأةِ فَقُطِعَتْ يَدُهَا...» [٢].

التوجيه:

تلوَّن وجه رسول الله ﷺ غضبًا من أسامة؛ لأنه تكلم في حدٍّ من حدود الله وحاول أن يتشفع للمرأة التي سرقت، وأوضح ﷺ في خطبته أن مثل هذا كان سبب هلاك الأمم السابقة.

---

(١) عمدة القاري (٢٨٧/١٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، حديث رقم ٤٣٠٤.

وقد احْمَرَّ وجه النبي ﷺ غضبًا؛ ومما يدل على ذلك:

١-السياق اللغوي الذي يتمثل في قوله ﷺ لأسامة: أتكلمني في حدٍّ من حدود الله؟، وفي رواية أخرى: (أتشفع في حدٍّ من حدود الله) [١] بهمزة الاستفهام الإنكاري[٢].

٢-قول أسامة: (استغفر لي يا رسول الله) فيه دلالة على غضب النبي ﷺ؛ لأنه لا شفاعة في حدود الله؛ لذا طلب منه أسامة أن يستغفر له.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الوسيلة التواصلية الصادرة منه ﷺ ، وهي احمرار وجهه ﷺ لها أثر واضح على المتلقي (أسامة)، بدليل استجابته السريعة التي حكاها الراوي؛ حيث طلب أسامة من المصطفى ﷺ أن يستغفر له.

٤- ومن احمرار وجه النبي ﷺ غضبًا ما رواه سفيان عن خباب قال: «أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وهو في ظِلِّ الكعبة -وقد لَقِينا من المشركينَ شِدَّة- فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، ألا تَدْعُو الله لنا؟ فقعدَ وهو مُحْمَرٌّ وجْهُه، فقال: لقد كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ

(١) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، حديث رقم ٦٧٨٨.

(٢) فتح الباري (٩٦/١٢).

الحديد ما دُونَ عِظَامِهِ من لحمٍ أو عَصَب ما يَصْرِفُه ذلك عَنْ دينِهِ»[1].

التوجيه:

احمرَّ وجه النبي ﷺ -هنا-غضبًا من قول خباب وشكواه[2]، قال ابن حجر: «قوله: (فقعد وهو محمر وجهه) أي: من أثر النوم، ويحتمل أن يكون من الغضب، وبه جزم ابن التين»[3].

يتضح مما قاله ابن حجر أن احمرار وجه النبي ﷺ في هذا الحديث يحتمل أن يكون من أثر النوم،ويحتمل أن يكون غضبًا وهو ما أكده ابن التين.

والذي يدل على أن احمرار الوجه هنا كان غضبًا من قول خباب وشكواه:

١-السياق الخارجي الذي يتمثل في حال خباب بن الأرت الذي طلب من رسول الله ﷺ أن يدعو الله ﷻ لينصرهم على المشركين الذين اشتدَّ إيذاؤهم للمسلمين بحر الرمضاء.

٢-السياق اللغوي الذي يتمثل في قوله ﷺ «لقد كان من قبلكم ليُمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع الميشارُ على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه».

---

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب ا لأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، حديث رقم ٣٨٥٢.

(٢) ينظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، أحمد إسماعيل الكُوراني الشافعي، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط. الأولى، ٢٠٠٨م، (٥٣/٧).

(٣) فتح الباري (٣٥/٧).

وفي هذه إشارة إلى شدة الإيذاء التي تعرض لها ممن كانوا قبلهم من آمنوا وكانوا يثبتون على دينهم، فحريٌ بهؤلاء المؤمنين أن يكونوا مثلهم في التحمُّل والصبر.

ب- **احمرار الوجه خوفًا:**

وقد ورد احمرار وجه النبي ﷺ - في حالة الخوف في الموضع التالى:

روي عن أم حبيبة «عن زَيْنَبَ ابْنَة جَحْشٍ -رَضِيَ الله عَنْهُنَّ – أَنَّهَا قالت: اسْتَيْقَظَ النبَّيُّ ﷺ من النَّوْمِ مُحْمَرًّا وَجْهُه، وهو يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، ويْلٌ للعربِ من شَرٍّ قد اقْتَرَب، فُتِحَ اليَومَ من رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ وَعَقَدَ سُفْيَانُ تِسْعِينَ أَوْ مِائة[1]، قيل: أَنَهْلَكُ وَفينا الصَّالِحُونَ؟ قال: نَعَمْ إذا كَثُر الخَبَثُ»[2].

التوجيه:

يصور هذا الحديث حال المصطفى ﷺ عندما استيقظ من نومه، حيث احمر وجهه وهو يقول: ويل للعرب من شر قد اقترب، «وخص العرب بالذكر لأنهم أول من دخل في الإسلام، وللإنذار بأن الفتن إذا وقعت كان الهلاك أسرع إليهم»[3].

---

(١) وفي رواية أخرى: «وحلَّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها» حديث رقم ٣٣٤٦، كتاب أحاديث الأنبياء، وأوضح العيني هذه الحركة، حيث قال: «جعل الإصبع السبابة في أصل الإبهام وضمها حتى لم يبق بينهما إلا خلل يسير وهو من تواضعات الحساب» عمدة القاري (٢٣٨/١٥). وهذه الحركة المركبة تدل على قلة الفترة المتبقية لخروج يأجوج ومأجوج، وبالتالى سرعة الإهلاك، ولا تحتمل هذه الحركة معنى آخر؛ لذا لم أقم بدراستها.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ. ويلٌ للعرب من شر قد اقترب، رقم الحديث ٧٠٥٩.

(٣) فتح الباري (١٤/١٣).

واحمرار الوجه قد يكون خجلًا، أو فرحًا، أو غضبًا، أو خوفًا، واحمرار وجه النبي ﷺ -هنا- كان خوفًا على أمته، ويدلّ على ذلك:

١- السياق اللغوي الذي يتمثل في قوله ﷺ: «ويلٌ للعرب من شر قد اقترب» والويل هو الهلاك، قال ابن منظور: «ويل كلمة مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب، ... والويل: حلول الشر»(١).
قال العيني: «كلمة (ويل) للحزن والهلاك والمشقة من العذاب، وكل من وقع في الهلكة دعا بالويل»(٢).

٢- السياق اللغوي الذي يتمثل فيما روى عن زينب بنت جحش رضي الله عنها في رواية أخرى: (أن النبي ﷺ دخل عليها فزعًا يقول: لا إله إلا الله.....) (٣) فقول الراوي (فزعًا) دليل على أن احمرار وجه النبي ﷺ كان خوفًا على أمته.

ولا شكَّ أن الوسيلة التواصلية الصادرة من المصطفى ﷺ -«وهي احمرار وجهه خوفًا على أمته»- كانت واضحة لدى المتلقي (السيدة زينب بنت جحش)(٤)، حيث سألته ﷺ يا رسول الله: (أنهلك وفينا الصالحون) قال: نعم، إذا كثر الخبث.

---

(١) لسان العرب (و ي ل)
(٢) عمدة القاري (٢٣٨/١٥).
(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، حديث رقم ٣٣٤٦، وكذا حديث رقم ٣٥٩٨.
(٤) ينظر: حديث رقم ٣٣٤٦.

(٢) العين وما يتعلق بها:

ترد العين في كثير من الأحيان لسانًا معبرًا عن معان عديدة، فكثيرًا ما تنوب عن اللغة المنطوقة ويفهم المتلقي المعنى المقصود من حركتها، وأشار (هدسون) إلى أن حركة العين من أهم الإشارات التلقينية غير اللفظية التي تستخدم في مواقف التناوب في الحديث حال الرغبة في التوقف عن الكلام، والسماح للآخرين للبدء فيه، أو بمعنى آخر: في حالة تغيير الأدوار من التكلم إلى التلقي والعكس(١).

وللقدماء إشارات دقيقة إلى أهمية العين ودورها في التواصل والإبانة عن مكنونات النفس، فقد عقد ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) في العقد الفريد بابًا سمَّاه (الاستدلال باللحظ على الضمير) (٢)، وقال: «العين باب القلب فما كان في القلب ظهر في العين»(٣).

كما رصد اللغويون التنوع الدلالي للنظرات، فربطوا بين تنوع المسمى واختلاف الدلالة تبعًا لاختلاف حركة العين، «فإذا نظر الإنسان إلى الشيء بمجامع عينه، قيل: رَمَقَهُ، فإن نظر إليه من جانب أذنه، قيل: لحظة، فإن نظر إليه بعجلة، قيل: لمحه...إلخ»(٤).

ولمَّا كان البصر يطلق على الجارحة الناظرة (العين) لم يتم الفصل بين الحركات الصادرة عن العين، والصادرة عن الإبصار في هذا البحث، وتحتمل الحركات الصادرة عن العين معاني عديدة، منها: الحب، أو البغض، أو النفور، أو الرضا، أو السخط، أو استحسان ما عند الغير، أو الإعجاب، أو

---

(١) علم اللغة الاجتماعي، (هدسون)، ص٢١٢، ٢١٣، ترجمة: محمود عياد، عالم الكتب، بتصرف.

(٢) العقد الفريد: ابن عبد ربه،(١٨٥/٢) تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ٢٠١١م.

(٣) السابق والصفحة نفسها.

(٤) فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، ص١٦٠، ١٦١، المطبعة الرحمانية – مصر، ١٩٢٧م.

التتبع، أو الخوف، أو الحزن، أو التهديد، والوعيد، أو التحذير، أو الازدراء، أو غير ذلك، وقد اتضحت دلالات العين في أوضاع متعددة في الحديث الشريف، فقامت مقام الكلام، وأوضحت دلالات، فكان ثم عين خائفة، وعين شاخصة، وعين محدقة، وعين راغبة، وعين متتبعة وغير ذلك.

أ- **العين الشاخصة:**

ذهب اللغويون إلى أن شخوص البصر هو فتح العينين من غير طرف[(١)]، يقال: «شخص بصر فلان فهو شاخص: إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف .... وشخوص البصر: ارتفاع الأجفان إلى فوق وتحديد النظر وانزعاجه»[(٢)]، وقد وصَّف أحد العلماء حركة شخوص البصر توصيفًا رائعًا، حيث قال: «وشخوص البصر يأتي حين ترى شيئًا لا تتوقعه، ولم تحسب حسابه، فتنظر مندهشًا، يجمد جفنك الأعلى الذي يتحرك على العين فلا تستطيع حتى أن ترمش أو تطرف، وإذا أردت أن ترى شخوص البصر، فانظر إلى شخص يُفاجَأ بشيء لم يكن في باله، فتراه -بلا شعور، وبغريزته التكوينية- شاخص البصر لا ينزل جفنه»[(٣)].

وعلى هذا: فشخوص البصر يعني فتح العينين مع توقف حركة الأجفان، وتحمل هذه الحركة دلالات متعددة، فقد تكون للتحذير، أو للخوف، أو للإنكار، أو الرفض، أو للدهشة، أو تكون عند الاحتضار.

وقد وردت بمعنى الاحتضار فيما رُوي عن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: (كان النبيُّ ﷺ يقول وهو صَحِيح: إنه لم يُقْبَض نَبِيٌّ حتى يَرَى مَقْعَدَهُ

(١) ينظر: السابق ص١٦٢، ولسان العرب مادة (ش خ ص).

(٢) لسان العرب (ش خ ص).

(٣) تفسير الشعراوي، الشيخ محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، مج ١٦، ص٩٦٥٤.

من الجَنَّة ثم يُخَيَّر، فلما نُزّل به[1] ورأسُهُ على فَخِذي غُشِيَ عليه ثم أَفَاق، فأَشْخَصَ بَصَرَهُ إلى سَقْفِ البَيْتِ، ثم قال: اللهُمَّ الرفيقَ الأَعْلى، فقلتُ إذًا لا يخَتارُنَا وَعَرفْتُ أنهُ الحديثُ الذي يُحَدِّثُنا وهو صحيح، قالت: فكان آخِرَ كلمةٍ تَكَلَّمَ بها: اللهُمَّ الرفيقَ الأَعْلى) [2].

التوجيه:

لما نزل بالرسول ﷺ المرض، أو «لما صار المرض نازلًا به»[3]، ورأسه على فخذ السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا غُشِيَ عليه، يقال: «غُشِيَ عَلَيه غَشْيَةً وَغَشْيًا وَغَشَيَانًا: أُغْمِيَ فهو مَغْشِيٌّ عليه .. وكذلك غَشْيَة الموت، قال الله تعالى: ﴿ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [محمد : ٢٠][4]. ثم أفاق ﷺ -هنا- فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال: اللهم الرفيق الأعلى وشخوص بصر المصطفى ﷺ -هنا- كان وقت الاحتضار، ويدل على ذلك:

١- السياق اللغوي الذي يتمثل في قول السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (نزّل به)، أي: نزل به المرض، -في رواية أخرى- وهذا المرض هو مرض الموت، ويؤكد هذا ما روته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لما

(١) قال العيني: «(نُزّل به) بضمّ النون على صيغة المجهول، يعني: لما حضره الموت»، عمدة القاري (١٤٥/٢٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب آخر ما تكلم به النبي ﷺ، حديث رقم ٤٤٦٣؛ وينظر: حديث رقم (٦٥٠٩) كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحبَّ الله لقاءه.

(٣) عمدة القاري (٩٧/١٨).

(٤) لسان العرب، مادة (غ ش ي).

مرض النبي ﷺ المرض الذي مات فيه جعل يقول في الرفيق الأعلى»[١].

٢-قول السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فكان آخر كلمة تكلم بها: اللهم الرفيق الأعلى».

٣-ما جاء في رواية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: التي رواها عنها عروة بن الزبير: «فلما اشتكى وحضره القبض»[٢].

ب- العين الراغبة:

وردت هذه العين في هيئتين مُحَدَّدتين في الأحاديث الواردة في صحيح البخاري:

الهيئة الأولى: إدامة النظر وفتح العينين من غير طرف مع التحديق لها دلالات متعددة، منها: التفحُّص، أو التتبع، أو الحسد، أو استحسان ما عند الغير وتمنيه، أو التعب، أو المرض، أو الحزن، أو تذكر أمور محزنة، أو الإعجاب بالحسن ويسميها الثعالبي (نظرة ذي علق)، قال: «فإن نظر إليه بعين المحبة، قيل: «نظر إليه نظرة ذي علق»[٣].

وقد جاءت بمعنى الإعجاب بالحسن فيما رواه عبد الله بن عباس Λ ، قال: (أَرْدَفَ[٤] رَسُولُ الله ﷺ - الْفَضْلَ بن عبَّاس يومَ النَّحر خَلْفَهُ على عَجُز رَاحِلَتِهِ، وكانَ الفضلُ رَجُلًا وَضِيئًا، فوقف النبيُّ ﷺ يُفْتِيهم، وَأَقْبَلَتِ

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، حديث رقم ٤٤٣٦.

(٢) السابق، حديث رقم ٤٤٣٧.

(٣) فقه اللغة للثعالبي، ص١٤٦.

(٤) رَدِفَ: يقال: «رَدِ ف الرجل وأردَفَه: ركب خلفه، وارْتَدَفَه خلفه على الدابَّة ... وقال الزجاج: يقال: رَدِفْتُ الرجل: إذا ركبت خلفه، وأردفته: أركبتُه خلفي»، لسان العرب (ر د ف).

امْرَأَةٌ من خَثْعَم وَضِيئَةٌ تسْتفْتِي رسُولَ الله ﷺ، فَطَفِقَ الفَضْلُ ينظرُ إليها وأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا، فالتَفَتَ النبيُّ ﷺ والفضلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَأَخْلَفَ بِيَدِهِ[1] فَأَخَذَ بِذَقْنِ الفَضْلِ فَعَدَلَ وَجْهَهُ عن النَّظَرِ إِلَيْهَا....» [2].

التوجيه:

يصور سياق هذا الحديث حال الفضل بن عباس، وهو «أخو عبد الله وكان أكبر ولد العباس، وبه كان يُكَنَّى»[3] عندما أردفه النبي ﷺ على راحلته، ووقف معه والمصطفى صلى الله عليه وسلم يُفْتِي الناس في أمور دينهم، فجاءت امرأة من قبيلة خثعم تستفتي النبي ﷺ في أن تحج عن أبيها لعدم استطاعته أن يستوي على الراحلة، وكانت امرأة وضيئة، أي: حسنة الوجه، قال ابن منظور: «الوَضاءة مصدر الوضئ وهو الحسن النظيف، والوضاءَة: الحُسْن والنظافة ... والوضاءة: الحُسن والبهجة، يقال: وَضُؤَت فهي وَضِيئة»[4].

فما كان من الفضل إلا أن نظر إليها، وأدام النظر، فالحركة الجسدية (إدامة النظر) تحتمل معاني متعددة، لكن المعنى المراد هنا منها هو الإعجاب بحسن المرأة الخثعمية، ويدلّ على ذلك:

---

(١) أخلف بيده، أي: أدارها من خلفه، فتح الباري (١٢/١١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ [النور : ٢٧]، حديث رقم ٦٢٢٨.

(٣) فتح الباري (٨١/٤).

(٤) لسان العرب (و ض أ).

١-السياق اللغوي الذي يتمثل في: وصف المرأة بكونها (وضيئة)، وهي الحسنة الوجه، ولا شك أن وضاءة المرأة الخثعميَّة جذبت انتباه الفضل، فنظر إليها وأدام النظر.

٢-قول الراوي: (وأعجبه حسنها) قرينة لفظية على أن المراد من الحركة الجسدية النظر للإعجاب.

ومما لا شك فيه أن وسيلة التواصل التي استخدمها الفضل وهي (إدامة النظر لإعجابه بحسن المرأة) كانت واضحة جلية معبرة، فهمها المُتَلَقُّون (المرأة الخثعمية) والمصطفى ﷺ) بصورة جيدة، فما كان من المرأة الخثعمية إلا أن نظرت إليه، وهذا ما أوضحته رواية مالك عن ابن شهاب، قال: «فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه»[١]، وما كان من المصطفى ﷺ -إلا أن أدَارَ يده من خلف الفضل وأخذ بذقنه، ليعدل وجهه عن النظر إليها، وفي رواية مالك: «وجعل النبي ﷺ - يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر»[٢].

الهيئة الثانية: إدامة النظر إلى الشيء في صمت وسكون مع فتور الطرف.

إنَّ إدامة النظر إلى الشيء في صمت وسكون حركة جسدية تواصلية تعني الإسجاد[٣]، ذهب الجوهري إلى أن الإسجاد: «إدامة النظر وإمراض

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله، حديث رقم ١٥١٣.
(٢) السابق – نفس الحديث.
(٣) قال الثعالبي: «فإن أدام النظر مع سكون، قيل: أسْجَد» فقه اللغة، ص١٤٧.

الأجفان»[١]، وذهب ابن منظور إلى أن «الإسجاد: فتور الطرف، وعين ساجدة: إذا كانت فاترة، والإسجاد: إدامة النظر مع سكون»[٢].

وربما كان مراد الجوهري أن الإسجاد هو إدامة النظر إلى الشيء بأجفان مريضة. وإدامة النظر إلى الشيء مع فتور الطرف أو بأجفان مريضة حركة جسدية تدلّ على معانٍ متعددة، منها: التعب، أو المرض، أو طلب الشيء، أو الحزن، أو تذكر أمور محزنة.

وجاءت لطلب الشيء فيما روي عن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنَا مسنِدَةٌ رسُول الله ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إليهِ، وعَرَفْتُ أنهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ فاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وقُلْتُ: ألَيِّنْهُ لك؟ فأَشَارَ بِرَأسِه[٣] أنْ نَعَمْ ...» [٤].

التوجيه:

إن نظر النبي ﷺ إلى السواك الذي في يد عبد الرحمن بن أبي بكر في صمت وسكون حركة جسدية يقصد منها: تمني الشيء وطلبه، رغم أن هذه الحركة خارج سياقها تحمل دلالات متعددة، لكن المعنى المراد منها هو تمني الشيء وطلبه؛ ويدلّ على ذلك:

السياق اللغوي الذي يتمثل في:

١-ما روته السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن المصطفى ﷺ: «فأشار برأسه أن نعم» ردًّا على سؤالها: آخذه لك؟ وربما كان المراد من قولها:

---

(١) تاج اللغة وصحاح العربية، (س ج د).
(٢) لسان العرب، (س ج د).
(٣) ينظر معالجة هذه الحركة ص من البحث..
(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ، حديث رقم ٤٤٤٩.

«وعرفت أنه يحب السواك): أي: عرفت أنه يرغب في السواك، فالحب بمعنى الرغبة في الشيْ، وكذا إشارته برأسه بالموافقة على سؤالها: أُليِّنه لك؟

٢-رواية أخرى للسيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي ﷺ وأنا مُسْنِدَتُهُ إلى صَدْرِي ومع عبد الرحمن سِوَاكٌ رَطِبٌ يَسْتَنُّ به، فأبَّدَه رسولُ الله ﷺ- بَصَرَهُ ...»[١].

قال ابن منظور: «فأَبَّد بصره إلى السواك، أي: أعطاه بُدَّتَهُ من النظر، أي: حظه»[٢]، وقال ابن حجر: «فأبَّدَه -بتشديد الدال- أي: مدَّ نظره إليه، ويقال: أبْدَدتُ فلانًا النظر: إذا طوَّلته إليه»[٣].

يتضح مما سبق: أن المراد من قول السيدة عائشة عن السواك: «فأبَّدَه رسول الله ﷺ بصره"، أي: مَدَّ نظره إليه راغبًا فيه، ذهب الزَّبيدي إلى أن المد هو «طموح البصر إلى الشيء، يقال: مدَّ بصره إلى الشيء: إذا طمح به إليه .. مددت عيني إلى كذا: نظرته راغبًا فيه»[٤].

فمد البصر معناه: النظر إلى الشيء رغبة فيه، وهذا يؤكد أن الحركة الجسدية الصادرة من المصطفى ﷺ يراد منها: طلب الشيء والرغبة فيه،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، حديث رقم ٤٤٣٨.

(٢) لسان العرب، (ب د د).

(٣) فتح الباري (٧٤٥/٧).

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، اعتنى به وصحح حواشيه: د. عبد المنعم خليل إبراهيم، ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٧م، (٨٧/٩).

وقد عبرَّت هذه الحركة عن مراد المصطفى ﷺ حيث عجز لسانه عن الطلب لشدة مرضه قبل موته.

ومما لا شكَّ فيه أن الوسيلة التواصلية الصادرة عن المصطفى ﷺ وهي (إدامة النظر إلى السواك في صمت) كانت واضحة جلية معبِّرة فهمها المتلقي وهي السيدة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، فكانت استجابتها سريعة، حيث أخذت السواك من أخيها وناولته المصطفى ﷺ بعد أن سألته: آخذه لك؟ فأجاب: نعم.

ج- <u>العين اللاحظة[1]:</u>

إنَّ النظر بمؤخر العين (من طرف خفي)، أو من جانب الأذن له دلالات متعددة، منها: الخوف، أو الاسترق والتلصص، أو الكراهية، أو التأدب، أو الخجل، أو التتبُّع.

وتكون بخفض البصر إلى أسفل، والنظر بجنب دون رفع العين، ويطلق ناتالي باكو على هذه النظرة: (النظرة الجانبية أو المختلَسة) وهي نظرة من يود الرؤية دون أن يُرى[2].

<u>وقد وردت بمعنى الخجل والتتبع في</u> حديث كعب بن مالك، وهو حديث طويل يقول: (فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاةَ مع المُسْلِمين، وأطُوفُ في الأَسْوَاقِ، ولا يُكَلِّمُنِي أحدٌ، وَآتِي رسُولَ الله ﷺ فَأُسَلِّم عليه وهو في مَجْلِسِهِ بعد الصَّلَاةِ، فأقُولُ في نَفْسِي: هل حرَّك شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلام عليَّ أم لا؟ ثم

(١) ذهب الثعالبي إلى أنه إذا نظر الإنسان إلى الشيء من جانب أذنه، قيل: لحظه. فقه اللغة، ١٤٦.

(٢) لغة الحركات، ناتالي باكو، تعريب: سمير شيخاني، دار الجيل، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٥م، ص٦٥.

أُصَلِّي قريبًا منه، فأُسَارِقهُ النَّظَر فإذا أَقْبَلْتُ على صَلَاتِي أقبل إليَّ، وإذا الْتَفَتُّ أعْرَضَ عَنِّي»[1].

التوجيه:

يصور السياق الدلالي لهذا الحديث حال كعب بن مالك عندما تخلَّف هو وهلال ابن أمية ومرارة بن الربيع عن غزوة تبوك، فأمر المصطفى ﷺ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بمقاطعتهم، وفي تلك الأثناء كان كعب بن مالك يصلي قريبًا من المصطفى ﷺ فيُسارقه النظر، أوضح الإمام بدر الدين العيني أن معنى (أسارقه النظر): «أنظر إليه في خفية»[2].

ويبدو أن كعب بن مالك كان يخفض بصره إلى أسفل، وينظر بجنب دون رفع العين خشية أن يراه المصطفى ﷺ، خجلًا منه ﷺ، وتتَبُّعًا لرضاه، ويدلّ على ذلك:

سياق المقام الذي يتمثل في حال كعب بن مالك هو ومن تخلف معه عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك؛ حيث غضب النبي ﷺ من فعلهم، وأمر الصحابة بمقاطعتهم، فكان كعب بن مالك يُسَارق النظر خجلًا من فعله، وتتبعًا لرضا المصطفى ﷺ.

وأوضح ذلك النيسابوري؛ حيث قال: «قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٠٦] الآية نزلت في كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع أحد بني عمرو بن عوف، وهلال بن

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، حديث رقم ٤٤١٨.
(٢) عمدة القاري (٥٣/١٨) ـ وينظر: فتح الباري (٧٢٥/٧).

أمية من بني واقف تخلفوا عن غزوة تبوك، وهم الذين ذكروا في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ... ﴾ [التوبة: ١١٨] الآية»[١]، فهذا سياق خارجي.

(٣) الرأس:

أوضح الثعالبى أن الإشارة تكون باليد، والإماءة تكون بالرأس، قال:"أشار بيده وأومأ برأسه "[٢]، بينما ذهب ابن منظور إلى أن الإشارة هى الإماءة، قال: "وأَشَار إليه وشوَّر: أو مأ، يكون ذلك بالكف والعين والحاجب... وشور إليه بيده، أى: أشار... وفى الحديث: كان يشير فى الصلاة، أي: يومئ باليد والرأس، أي: يأمر وينهى بالإشارة"[٣].

والإشارة بالرأس أو الإماءة بها حركة جسدية لها دلالات متعددة، منها: القبول أو الرفض ، أوالخشوع، أوالخجل، أو الإباء او الكبرياء، أوغيرها، ولكل حركة هيئة معينة، "فكل منا يلوى رأسه ساخرا، وينكسه خشوعا أوخجلا، ويرفعه كبرياءً أوإباءً، ويقذف به للوراء تحديا "[٤] ومن هذه الدلالات:

أ ـ الرأس الموافق

إن تحريك الرأس من أعلى إلى أسفل حركة جسدية تحتمل معانى متعددة ،منها: الموافقة، أوتليين الرأس لمرض ألَمَّ بها، أو التواصل مع الغير أثناء حديثه، أو التذكُّر، وجاءت بمعنى الموافقة فيما روي عن السيدة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: «دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنَا مسنِدَةٌ رسُول الله

(١) أسباب النزول: الإمام الواحدي النيسابوري، مؤسسة جمال، عالم الكتب، بيروت، ص١٩٥ـ وينظر: البحر المحيط (١٠١/٥).
(٢) فقه اللغة ص ٢١٩.
(٣) لسان العرب ـ مادة(ش و ر).
(٤) الإشارات الجسمية ص ١٦٥.

ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إليهِ، وعَرَفْتُ أنهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَك؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ فاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وقُلْتُ: أليِّنْهُ لك؟ فأَشَارَ بِرَأسِه[1] أنْ نَعَمْ...» [2].

ومما يدل على أن الحركة الجسدية هنا تدل على الموافقة:السياق اللغوى الذى يتمثل فى قوله: (أنْ نَعَمْ).

ب - الرأس المُنَكَّسْ:

إنَّ إمالة الرأس إلى أسفل حركة جسدية تواصلية لها دلالات متعددة، منها: الحزن، أو الانكسار والذل، أو الندم أو الهزيمة، أو الحيرة:

وقد جاءت بمعنى الحزن فيما روي عن ابن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ «أنَّ النبيَّ ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجلٌ: يا رسُولَ الله، أنا أعْلَمُ لك عِلْمَهُ، فأتَاهُ فوجَدَه جالسًا في بيته مُنَكِّسًا رَأسه، فقال له: ما شَأْنُك؟ فقال: شَرٌّ، كان يَرْفَعُ صَوْتَهُ فوقَ صَوْتِ النَّبِي ﷺ فقد حَبِطَ عَمَلُهُ وهُوَ من أهْلِ النَّارِ ...» [3].

التوجيه:

يصور هذا الحديث حال ثابت بن قيس الذي جلس في بيته حزينًا منكسًا رأسه، قال ابن منظور: «نكَسَ رأسه: إذا أماله ... والنَّاكِسُ: المُطأطئُ

(١) ينظر معالجة هذه الحركة ص من البحث..

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ، حديث رقم ٤٤٤٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ حديث رقم ٤٨٤٦.

رأسَهُ، ونكس رأسه: إذا طأطأه من ذُلّ...» [1]، وقال الفيروزآبادي: «نَكَسَهُ: قَلَبَهُ على رأسه»[2].

فذهب إليه رجل يستخبر عن حاله، حيث افتقده المصطفى ﷺ -فسأل الرجل ثابت ابن قيس عن سبب حزنه، فأجابه بقوله: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ، وهذا الكلام «التفات، وكان السياق يقتضي أن يقول: كنت أرفع صوتي»[3]، ولكن ثابت بن قيس التفت من التكلم إلى الغيبة، ولعل غرضه من ذلك هو دفع هذا الأمر عن نفسه وكأنه يتبرأ منه.

ومما يدل على أن الحركة الجسدية (تنكيس الرأس) تدل على الحزن:

١- السياق الخارجي الذي يتمثل في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ... ﴾ [الحجرات : ٢].

قيل: «نزلت في ثابت بن قيس بن شماس كان في أذنه وقر، وكان جهوري الصوت، وكان إذا كلم إنسانًا جهر بصوته، فأنزل الله تعالى هذه الآية»[4].

وقيل: «لمَّا نزلت هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ قال ثابت بن قيس: أنا الذي كنت أرفع

---

(١) لسان العرب، (ن ك س).

(٢) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، مادة (ن ك س).

(٣) فتح الباري (٤٥٦/٨).

(٤) أسباب النزول للنيسابوري، ص٢٨٧.

صوتي فوق صوت النبي وأنا من أهل النار، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: هو من أهل الجنة»[١].

٢- السياق اللغوي الذي يتمثل في البشارة العظيمة التي أرسلها إليه المصطفى ﷺ مع الرجل -الذي ذهب إليه- في قوله: (اذْهَبْ إليه، فقل له: إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة»[٢].

وذلك عندما أخبر الرجل المصطفى ﷺ بحال ثابت بن قيس، وعن سبب حزنه حيث يظن أنه من أهل النار، وقد حبط عمله.

(٤) اليد:

(اليد المُصَوّرة والموضّحة للمعنى):

إنَّ تحريك اليد مع إمالتها من أعلى إلى أسفل حركة جسدية تواصلية لها معانٍ متعددة، منها: الضرب حقيقة، أو المِزاَح، أو تصوير معنى وتوضيحه.

وقد جاءت لتصوير المعنى وتوضيحه فيما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «يُقْبَضُ العِلْمُ، ويَظْهَرُ الجَهْلُ والفِتَنْ، ويكْثُرُ الهَرْجُ، قيلَ: يا رسُولَ اللهِ، ومَا الهَرْجُ؟ فقال: هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفها كأَنَّهُ يُرِيدُ القَتْلَ»[٣].

التوجيه:

يوضح المصطفى ﷺ في هذا الحديث أمورًا تحدث عند قيام الساعة[٤]، منها: قبض العلم، وظهور الجهل والفتن، وكثرة الهرْج، ثم سأل

---

(١) السابق، نفس الصفحة.

(٢) حديث رقم ٤٨٤٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أجاب الفُتْيَا بإشارة اليد والرأس، حديث رقم٨٥.

(٤) ينظر تفصيل ذلك في حديث رقم ١٠٣٦.

الصحابة عن معنى (الهَرْج) فأجابهم المصطفى ﷺ بحركة جسدية توضح المعنى حلت محل المنطوق، وقد أوضح الراوي هذه الحركة كما رآها، حيث قال: (فقال هكذا بيده فحرَّفها كأنه يريد القتل) وأوضح ابن فارس معنى (حرَّف)؛ حيث قال: «الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول: حد الشيء والعدول وتقدير الشيء ... والأصل الثاني: الانحراف عن الشيء، يقال: انحرف عنه ينْحرف انحرافًا، وحرَّفته أنا عنه، أي: عدلت به عنه....» (١).

فكأنه أمال ﷺ يده عند تحريكها من أعلى إلى أسفل وكأنه يريد القتل، قال ابن منظور: «وصف سليمان بكفه فحرَّفها، أي: أمالها، والحديث الآخر وقال بيده فحرَّفها كأنه يريد القتل، ووصف بها قطع السيف بحدة»(٢). كذا قال الجوهري(٣).

يتضح مما قاله ابن منظور: أن تحريف ا ليد بمعنى إمالتها، وكأنه يصف ضربة شديدة بسيف قاطع بغرض القتل.

قال ابن حجر: «قوله: (كأنه يريد القتل) كأن ذلك فُهِمَ من تحريف اليد وحركتها كالضارب»(٤).

والذي يدل على أن الحركة الجسدية -هنا- معناها تصوير معنى (الهَرْج) وتوضيحه:

١-السياق اللغوي الذي يتمثل في قوله ﷺ: -في رواية أخرى- (القتلُ القتلُ) (٥) عندما سُئِل عن معنى (الهرْج)، وفي رواية: (والهَرْجُ بلسان الحبشة: القتل) (٦).

وهكذا فقد حَلَّت الحركة الجسدية محل اللغة المنطوقة.

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مادة (ح ر ف).

(٢) لسان العرب (ح ر ف).

(٣) الصحاح (ح ر ف).

(٤) فتح الباري (٢١٩/١) .

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يُكره من البخل، حديث رقم ٦٠٣٧.

(٦) السابق، كتاب الفِتن، باب ظهور الفِتَنْ، حديث رقم ٧٠٦٥، وأيضًا حديث رقم ٧٠٦٦.

المبحـــث الثانـــي:

المشتـرك الحركـي في الحركـات الجسدية المُرَكَّبـة

يقصد بالحركة الجسدية المركبة: الحركة الجسدية التي تنتج عن تضافر عضوين أو أكثر(١).

المطلب الأول:

الحـركات الجسديَّـة الثنـائية

هي الحركات الجسدية التي تعتمد على عضوين في إيصال رسالة ذات دلالة، وقد اشتمل الحديث الشريف على حركات جسدية مركبة من عضوين ذات دلالة على معانٍ متعددة، يُحَدِّد السياق المعنى المراد من هذه المعاني، ويمكن توضحيها فيما يأتي:

١- العين (الجفن) + الحاجب:

إنَّ تحريك الجفنين مع تحريك الحاجب حركة جسدية تواصلية إبلاغية تعرف بالغمز(٢)، هذه الحركة الجسدية ينتجها الشخص إراديًا بهدف الإفصاح عن أمر ما، ويكاد يجزم بأن المتلقي سَيَعيِ هذه الحركة ويفهمها؛ لأنه قد تواضع عليها المجتمع.

---

(١) ينظر: دراسات تطبيقية فى اللسانيات المعاصرة ص ١٤١.

(٢) الغمز هو: «الإشارة بالعين والحاجب والجفن» لسان العرب مادة (غ م ز) وينظر: القاموس المحيط (غ م ز) ويطلق الغمز «على تحريك الطرف لقصد تنبيه الناظر لما عسى أن يفوته النظر إليه من أحوال في المقام» التحرير والتنوير (٢١١/٣٠)، وقيل: «الغمز: العصر باليد» لسان العرب (غ م ز).

والإشارة بالطرف والحاجب -هنا- كما صرح الجاحظ مرفق كبير ومعونة حاضرة في أمور يسترها بعض الناس عن بعض[١].

ولهذه الحركة دلالات متعددة، منها: السخرية والاستهزاء، أو الإنكار، أو التودد والإشعار بالحب، أو التآمر والخيانة، أو المكر أو الشك، أو الاتفاق على أمر من الأمور.

وجاءت بمعنى الاتفاق على أمر من الأمور فيما روته السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ وعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيان بِغِنَاءِ بُعَاثَ، فاضْطَجَعَ على الفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكر فانْتَهرَني، وقال: مِزْمَارَةُ الشيطانِ عنْدَ النَّبِي ﷺ! فَأقبلَ عليهِ رسولُ الله ﷺ فقال: دَعْهُمَا، فلما غَفَلَ غَمَزْتُهُما فخَرَجَتَا»[٢].

التوجيه:

يصور هذا الحديث حال السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حينما دخل عليها المصطفى ﷺ وعندها جاريتان من جواري الأنصار تضربان بدف، وتغنيان غناء بعاث -وهو يوم مشهور من أيام العرب كانت فيه مقتلة عظيمة للأوس على الخزرج، وبقيت الحرب مائة وعشرين سنة إلى الإسلام[٣]- فاضطجع المصطفى ﷺ على فراشه، ودخل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فنهر السيدة

(١) ينظر: البيان والتبيين (٧٨/١).
(٢) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب الحِرَاب والدَّرق يوم العيد، حديث رقم ٩٤٩.
(٣) ينظر: فتح الباري (٥١١/٢).

عائشة أي زجرها، وفي رواية أخرى: (فانتهرهما) [١] أي: الجاريتين، وقد نهر السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لتقريرها ذلك، ونهر الجاريتين لفعلهما ذلك في بيت النبي ﷺ[٢]، فأقبل عليه النبي ﷺ وقال: دعهما، وعلَّل ﷺ ذلك فيما رواه عنه هشام بقوله: «يا أبا بكر! إن لكل قوم عيدًا وإن عيدنا هذا اليوم»[٣]، قال الإمام بدر الدين العيني: «هذا تعليل لنهيه ﷺ إياه بقوله: (دعهما) [٤]».

فما كان من السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلا أن غمزت الجاريتين دون أن تكلمهما بعد أن غفل سيدنا أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد فهمت الجاريتان إشارة السيدة عائشة فخرجتا، والمراد من الغمز هنا: الاتفاق على الخروج من المكان، والدليل على ذلك:

السياق اللغوي الذي يتمثل في قولها: (فخرجتا) أي: الجاريتان.

وقد وُفِّقت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في استخدام الوسيلة التواصلية المتمثلة في الغمز للاتفاق على الخروج من المكان، وقد كانت واضحة جلية فهمها المتلقي (الجاريتان)، فاستجابتا استجابة سريعة حكتها السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قولها: (فخرجتا).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب العيدين، باب إذا فاته العيد يصلي ركعتين، حديث رقم ٩٨٧، وكتاب المناقب، باب قصة الحبش وقول النبي ﷺ: يا بني أرفدة، حديث رقم (٣٥٢٩).

(٢) عمدة القاري (٦/٣٩٠).

(٣) البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، حديث رقم (٣٩٣١).

(٤) عمدة القاري (٦/٣٩١).

٢-يد + يد شخص آخر:

إنَّ الضرب بيد على يد أخرى حركة جسدية تواصلية لها دلالات اجتماعية عديدة، منها: التسليم والمصافحة، أو المبايعة، أو الممازحة.

وقد وردت هذه الحركة بمعنى (المُبايعة) فيما رُوي عن عُثْمَان بن مَوْهَب في حديث بيعة الرضوان (بعد ما ذَهَبَ عُثْمَانُ إلى مَكَّةَ، فقالَ رسولُ الله ﷺ بِيَدِهِ اليُمْنَى: هَذِهِ يَد عُثْمَان فَضَرَبَ بها على يَدِهِ، فقال: هَذِهِ لِعُثْمَانَ)[١].

التوجيه:

يصور هذا الحديث جزءًا من المُبايعة التي تمت في بيعة الرضوان أو بيعة الشجرة، حيث أُرجف أن سيدنا عثمان قُتل عندما ذهب للتفاوض مع قريش في شأن العمرة، فعزم النبي ﷺ على قتالهم، وبايعه الصحابة على قتال قريش.

وفي هذا الحديث يصور المصطفى ﷺ يده الشريفة اليمنى على أنها يد عثمان بن عفان، ثم أخذها وضرب بها على يده اليسرى الشريفة، وقال: هذه يد عثمان، أي: البيعة لعثمان[٢]، ولم يكن عثمان موجودًا وقتذاك.

وضرب اليد على اليد يسمى (مصافقة)، قال ابن منظور: «تصافقوا: تبايعوا، وصفَقَ يده بالبيعة والبيع ... وصفَقْت له بالبيع والبَيْعة صفْقًا، أي: ضربتُ يَدي على يده»[٣]،

---

(١) البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم ٣٦٩٨، وهو حديث طويل اقتصرت فيه على موضع الشاهد.

(٢) ينظر: فتح الباري (٧٤/٧).

(٣) لسان العرب (ص ف ق).

وقال ابن عاشور: «المبايعة كانت بأن يَمُد المُبايع كفه أمام المبايَع (بالفتح)، ويضع هذا المبايع يده على يد المبايع»[١].

وهذه الحركة الجسدية التي كانوا يقدمون عليها وقت المُبايعة عادة اجتماعية اعتاد عليها العرب، قال ابن منظور: «وإنما قيل للبيعة صفقة؛ لأنهم كانوا إذا تبايعوا تصافقوا بالأيدي»[٢].

والذي يدل على أن الحركة الجسدية هنا معناها المبايعة: السياق الخارجي الذي يتمثل في سياق المقام، فقد كان سبب بيعة الرضوان أو بيعة الشجرة: «أن رسول الله ﷺ أرسل عثمان بن عفان من الحُدَيبية إلى أهل مكة ليُفاوضهم في شأن التخلية بين المسلمين وبين الاعتمار بالبيت، فأُرْجِفَ بأن عثمان قُتِل، فعزم النبي ﷺ على قتالهم لذلك، ودعا من معه إلى البيعة على ألا يرجعوا حتى يُنَاجزوا القوم ... ولم يتخلف أحد ممن خرج مع النبي ﷺ إلى الحديبية عن البيعة إلا عثمان إذ كان غائبًا بمكة للتفاوض في شأن العمرة، ووضع النبي ﷺ يده اليُمنى على يده اليسرى، وقال: هذه يد عثمان ،ثم جاء عثمان....»[٣].

٣-أصابع يد + أصابع اليد الأخرى:

إنَّ تشبيك أصابع اليدين حركة جسدية تواصلية لها عدة معان، منها: التماسك والتكاثُف، أو الاختلاط والتداخل.

---

(١) التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، (١٥٨/٢٦)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

(٢) لسان العرب (ص ف ق).

(٣) التحرير والتنوير (١٥٩/٢٦).

أ- وقد وردت بمعنى التماسُك والتكاتُف في قوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ للمُؤْمِنِ كالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»(١).

التوجيه:

يوضح النبي ﷺ في هذا الحديث حال المؤمنين في توَادهم وتكاتفهم بأنهم مثل البنيان المرصوص يَشُدّ ويقوي بعضه بعضًا، ولم يكتفِ ﷺ باللغة المنطوقة، بل لجأ إلى اللغة غير المنطوقة المتمثلة في الحركة الجسدية ليزيد من توضيح المعنى وتأكيده، فشبك بين أصابعه.

قال ابن رجب: «وهذا التشبيك من النبي ﷺ في هذا الحديث كان لمصلحة وفائدة، لم يكن عبثًا، فإنه لما شبَّه شد المؤمنين بعضهم بعضًا بالبنيان كان ذلك تشبيهًا بالقول، ثم أوضحه بالفعل، فشبك أصابعه بعضها في بعض؛ ليتأكد بذلك المثال الذي ضربه لهم بقوله، ويزداد بيانًا وظهورًا»(٢)، وهذا ما أكده ابن حجر؛ حيث ذهب إلى أن «الذي يريد المبالغة في بيان أقواله يمثلها بحركاته ليكون أوقع في نفس السامع»(٣).

والحركة الجسدية (تشبيك الأصابع) تحتمل معنى التماسك والتكاتف، كما تحتمل معنى الاختلاط، والتداخل، ولكن المراد من هذه الحركة الجسدية -هنا- التماسك والتكاتُف، ويدلّ على ذلك:

---

(١) البخاري، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم، حديث رقم ٢٤٤٦ - وينظر: كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، حديث رقم ٤٨١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب السلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي، تحقيق: ثمانية محققين، ط. الثامنة، المدينة المنورة، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٩٩٦م، (٤١٩/٣، ٤٢٠).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٤٦٤/١٠).

السياق اللغوي الذي يتمثل في قوله ﷺ: (كالبنيان يشدُّ بعضه بعضا)، وقد جاءت الحركة الجسدية -هنا- معضدة للمنطوق ومؤكدة وموضحة له..

ب- كما وردت هذه الحركة الجسدية بمعنى الاختلاط والتداخل في قوله ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة قال: (قال رسول الله ﷺ: كيف بك يا عبد الله بن عمرو إذا بقيت في حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ قد مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وأَمَانَاتهم، واخْتَلَفُوا فصاروا هكذا، وشبَّك بين أصَابِعه؟ قال: فما تَأْمُرُنِي؟ قال: عَلَيْكَ بخاصَّتِهِم وَدعْ عنك عَوَامَّهمْ)[1].

التوجيه:

يستفهم المصطفى ﷺ: في هذا الحديث من عبد الله بن عمرو ماذا يفعل إذا بقي في حثالة من الناس، أي: مع أراذل الناس الذين مَرَجت عهودهم وأماناتهم؟ قال ابن منظور: «والحُثالة والحُثال: الرديء من كل شيء، وقيل: هو القُشارة من التمر والشَّعير والأرُز وما أشبهها .. وحثالة الناس: رذالتهم»[2].

وهذا ما أ كده ابن حجر، حيث قال: «قال ابن التين: الحُثالة: سقط الناس، وأصلها ما يتساقط من قشور التمر والشعير وغيرهما....»[3].

والمعنى: ماذا يفعل عبد الله بن عمرو إذا بقي مع مجموعة من أراذل الناس مَرَجَت عهودهم وأماناتهم، قال الجوهري: «مَرَجَتْ أماناتُ الناس ...

---

(١) ذكر ابن حجر هذا الحديث وقال: «قال ابن بطال: أشار البخاري إلى هذا الحديث ولم يخرجه لأن العلاء ليس من شرطه فأدخل معناه في حديث حذيفة» وهو حديث رقم (٧٠٨٦) فتح الباري (٤٢/١٣).

(٢) لسان العرب (ح ث ل).

(٣) فتح الباري (٢٥٧/١١).

فَسَدَتْ، وَمَرَجَ الدينُ والأَمْرُ: اخْتَلَط واضْطَرَبَ»[1] وذهب ابن منظور إلى أن المعنى: «الْتَبَسَتْ عليهم عُهُودُهُمْ وأَمَانَاتُهُمْ»[2] واختلفوا فصاروا هكذا، وقد أوضح الراوي الحركة الجسدية التي فعلها المصطفى ﷺ لتصوير المعنى وتقريبه من ذهن السامع وهي (التشبيك بين أصابعه).

والذي يدلّ على أن هذه الحركة بمعنى الاختلاط والتداخل: السياق اللغوي الذي يتمثل في قوله ﷺ: «إذا بقيت في حثالة من الناس قد مَرَجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا»، أي: اختلطت عهودهم وأماناتهم وفسدت.

ولم يكتف ﷺ باللغة المنطوقة، ولكنه لجأ إلى اللغة غير المنطوقة المتمثلة في الحركة الجسدية لتوضيح المعنى وتقريبه من ذهن السامع.

ولا شكَّ أن الوسيلة التواصلية التي استخدمها المصطفى ﷺ كانت واضحة لدى المتلقي الذي سرعان ما سأل المصطفى ﷺ بقوله: فما تأمرني؟

ب- يد + رأس:

إن وضع اليد على الرأس حركة جسدية تواصلية لها دلالات اجتماعية متعددة، منها: المرض والألم، أو أذى من الرأس، أو الحزن، أو تغطية الرأس من شدة الحر.

وقد وردت بمعنى تغطية الرأس من الشمس والحر فيما روي عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِي ﷺ في بَعْضِ أَسْفَارِهِ في يَوْمٍ

(١) الصحاح (م ر ج).
(٢) لسان العرب (م ر ج).

حَارٍّ حَتَّى يَضَعَ الرَّجَلُ يَدَهُ على رَأْسِهِ من شِدَّةِ الحَرِّ وما فِينَا صَائِمٌ، إلا ما كانَ مِنَ النَّبِي ﷺ وابنِ رَوَاحَةَ»(١).

التوجيه:

يوضح أبو الدرداء أنهم خرجوا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم شديد الحر، حتى إن الرجل منهم كان يضع يده على رأسه من شدة الحر، وما كان فيهم أحد صائم إلا المصطفى ﷺ وابن رواحة وهذه الحركة خارج سياقها تحتمل معانى متعددة، ولكن المعنى المراد منها هنا هو تغطية الرأس من شدة الحر والشمس ويدل على ذلك:

السياق اللغوي الذي يتمثل في قول أبي الدرداء: (في يوم حار) – وقوله: (من شدة الحر).

المطلب الثاني:

الحركات الجسدية فوق الثنائية

هي الحركات التي تعتمد على أكثر من عضوين في إيصال رسالة ذات دلالة، وقد اشتمل الحديث الشريف على حركات جسدية مركبة من أكثر من عضوين، يمكن توضحيها فيما يأتي:

١-العين (الدمع) + صوت الفم + الوجنتان وأسارير الوجه:

إنَّ فيضان الدمع مع تحريك سريع للأجفان ثم سكونها فجأة، مع صدور صوت مسموع من الفم كالأنين أو التأوه مع انقباض الوجنتين وأسارير الوجه حركة جسدية تواصلية تنم عن حال صاحبها، وتكشف ما بداخله من مشاعر وانفعالات، وتترجم للمتلقي الرسالة بطريقة واضحة وسريعة وبليغة، وهذا ما أكده ابن عاشور، عندما وصف البكاء بأنه «كيفية

(١) البخاري، كتاب الصوم، حديث رقم ١٩٤٥.

في الوجه والعينين تنقبض بها الوجنتان والأسارير والأنف، ويسيل الدمع من العينين، وذلك يعرض عند الحزن والعجز عن مقاومة الغلب»[1].

ولا تقتصر هذه الحركة الجسدية على دلالات الحزن أو العجز عن مقاومة الغلب، ولكن لها دلالات أخرى كالخوف، أو الألم، أو المرض أو الكبر أو الشيخوخة، أو الفرح، أو الشوق، أو الرغبة في استمالة الآخرين والتأثير فيهم طلبًا للإنصاف[2].

وقد جاءت بمعنى:

أ- **الحـزن:**

وردت هذه الحركة الجسدية المركبة (من الدمع وصوت الفم وتغير أسارير الوجه) بمعنى الحزن في المواضع الثلاثة التالية:

١- روي عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «خَطَبَ رسُولُ الله ﷺ النَّاسَ، وقال: إنَّ الله خَيَّر عَبْدًا بَيْن الدُّنْيَا وبَيْن مَا عِنْدَهُ، فاختارَ ذلك العَبْدُ ما عِنْدَ اللهِ، قال: فبكَى أبُو بَكرٍ، فَعَجِبْنَا لِبُكَائِه أن يُخْبَرَ رسُولُ اللهِ ﷺ عن عَبْدٍ خُيِّر، فكان رسُولُ الله ﷺ هو المُخَيَّر، وَكَانَ أَبُو بَكْر أَعْلَمنا، فقال رسول الله ﷺ إن أمَنَّ الناس عليَّ في صُحْبَتِهِ ومَالِهِ أبو بكر، ولو كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غير رَبِّي لاتَّخَذْتُ أَبَا بكر، ولكن أُخُوَّةَ الإسلامِ ومودَّتَه لا يبقيَنَّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا بَابَ أبي بكر»[3].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨٢/١٠).

(٢) كما في قوله تعالى -حكاية عن إخوة يوسف-: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴾ [يوسف:١٦].

(٣) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ، (سدُّوا الأبواب إلا باب أبي بكر)، حديث رقم ٣٦٥٤، وينظر حديث رقم ٤٦٦.

التوجيه:

يصور هذا الحديث حالة التأثير العميق التي انتابت سيدنا أبا بكر عند سماعه خطبة سيدنا محمد ﷺ؛ حيث اهتزَّت مشاعره وفاضت عينه دمعًا حُزنًا على فراق النبي ﷺ.

قال صاحب تحفة الباري: «حيث فَهِم أن رسول الله ﷺ يفارق الدنيا فبكى حزنًا على فراقه»(١).

وهذا ما جعل الصحابة يحكمون عليه بأنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعلمهم؛ حيث فهم أن العبد المُخَيَّر هو المصطفى ﷺ(٢)، وقد كان لسيدنا أبي بكر خصوصية:

قال الإمام بدر الدين العيني: «إن أبا بكر له من الحقوق ما لو كان لغيره لامتن بها، وذلك لأنه بادر بالتصديق، ونفقة الأموال، وبالملازمة والمصاحبة إلى غير ذلك بانشراح صدر ورسوخ علم بأن الله ورسوله لهما المنة في ذلك والفضل، ولكن رسول الله ﷺ بجميل أخلاقه وكريم أعرافه اعْترف بذلك عملًا بشكر المنعم»(٣).

والبكاء حركة جسدية تحتمل خارج هذا السياق معاني متعددة، منها: الفرح، أو الألم، أو المرض، أو الندم، أو الحزن، ولكن البكاء هنا بمعنى الحزن على فراق النبي ﷺ، ويدلّ على ذلك:

---

(١) تحفة الباري، زكريا الأنصاري (١٧٩/٢).
(٢) ينظر: عمدة القاري (٣٥٩/٤).
(٣) السابق – نفس الصفحة.

١-السياق اللغوي الذي يتمثل في قول الراوي: (فكان رسول الله ﷺ هو المُخَيَّر).

٢-السياق اللغوي الذي يتمثل في قول سيدنا أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -في رواية أخرى: «فديناك بآبائنا وأمهاتنا»[١].

والوسيلة التواصلية التي لجأ إليها سيدنا أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهي البكاء كانت واضحة عند بعض المتلقين دون بعض، فقد فهمها المصطفى ﷺ؛ لذا قال له: «يا أبا بكر لا تبكِ، إن أَمنَّ الناس عليَّ في صحبته وما له أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا من أمتى لاتَّخذتُ أبا بكر»[٢]، ولم يفهمها الصحابة؛ لذا تعجبوا من بكاء أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما أخبر رسول الله ﷺ عن عبدٍ خُيِّر، ثم اتضح لهم المعنى فيما بعد.

٢- رُوِيَ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قالَ النَّبيُّ ﷺ: أخذَ الرايةَ زيدٌ فَأُصِيبَ، ثم أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصَيبَ، ثم أَخَذَها عبدُ الله بنُ رَوَاحَةَ فَأُصَيبَ، وإنَّ عَيْنَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لتَذْرِفَان، ثم أَخَذَها خَالدُ بنُ الوليدِ منْ غَيرِ إمْرَة فَفُتِحَ له»[٣].

---

(١) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم ٣٩٠٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الخَوْخة والممر في المسجد، حديث رقم ٤٦٦.

(٣) السابق، كتاب الجنائز، باب الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه، حديث رقم ١٢٤٦.

التوجيه:

يصور هذا الحديث حال المصطفى ﷺ وتأثُّره تأثرًا شديدًا بما حدث للثلاثة (زيد، وجعفر، وعبد الله بن رواحة).

وذرف الدمع هنا حالة معروفة في النفس البشرية، وهي حركة جسدية تؤدي ما لا يؤديه الكلام.

وقد جاءت الحركة الجسدية هنا معبرة أبلغ تعبير عن حالة التأثير العميق التي انتابت المصطفى ﷺ، فجاءت تؤدي ما لا تؤديه اللغة المنطوقة.

وقد اجتمعت مرحلتان من مراحل البكاء:

الأولى: امتلاء العين دمعًا، وهو ما يُعْرَف باغروراق العين بالدموع وترقرقها، قال الثعالبي: «إن امتلأت عينه دموعًا، قيل: اغْرَورَقَت عينه وترقرقت، فإذا سالت، قيل: دَمَعَتَ وَهَمَعَت»(١).

الثانية: سيلان الدمع، وهي مرحلة تتجاوز اغروراق العين.

قال الجوهري: «يقال: ذرفت عينه: إذا سال منها الدمع»(٢).

«والذَّرْف: صبُّ الدمع»(٣).

ومما يدلّ على أن الحركة الجسدية (البكاء) – هنا بمعنى الحزن:

(١) فقه اللغة للثعالبي، ص١٤٨.
(٢) الصحاح (ذ ر ف).
(٣) لسان العرب (ذ ر ف).

السياق اللغوي الذي يتمثل في رواية حميد بن هلال عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (أن النبي ﷺ نعى[1] زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم)[2].

فنعيه ﷺ الثلاثة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم دليل على أن الحركة الجسدية تدلّ على الحزن.

٣-رُوي عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «دَخَلْنَا مع رسُول الله ﷺ عَلَى أَبي سَيْفِ الْقَيْن – وكان ظِئْرًا لإبراهيم ﷺ فأخذ رسولُ الله ﷺ إبراهيمَ فقبَّلهُ وشَمَّه، ثم دخَلْنَا عليه بَعْدَ ذَلِكَ وإبراهيمُ يَجُودُ بِنَفْسه، فَجَعَلَتْ عَينَا رَسُولِ الله ﷺ تَذْرِفَان، فقال له عبدُ الرَّحْمَن بنُ عَوْفٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وأنتَ يا رسول الله؟ فقال: يا ابنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثم أَتْبَعَهَا بأُخْرى، فقال ﷺ: إن العينَ تدمَعُ، والقلبَ يَحْزَنُ، ولا نقولُ إلا ما يَرْضَي رَبُّنا وإنا بِفِرِاقِكَ يا إبراهيمُ لَمَحْزُونُونَ»[3].

---

(١) النَّعْي: خبر الموت، لسان العرب، (ن ع ١).

(٢) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب خالد بن الوليد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، حديث رقم ٣٧٥٧.

(٣) البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: إنا بك لمحزنون، حديث رقم ١٣٠٣.

التوجيه:

يصور هذا الحديث حالة التأثير العميق التي انتابت المصطفى ﷺ وقت موت ابنه إبراهيم؛ حيث أخذت عيناه تذرفان عند احتضاره.

والذي يدلّ على أن الحركة الجسدية -هنا- تدلّ على الحزن:

١- السياق اللغوي الذي يتمثل في الحديث بأكمله، نحو (وإبراهيم يجود بنفسه)، والمعنى: «يخرجها ويدفعها ... وقيل معناه: يقارب بها الموت»[(١)].

وكذا قوله ﷺ: «إنَّ العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون)

والوسيلة التواصلية -هنا- وهي البكاء كانت واضحة جلية لدى المتلقين، حيث تعجب عبد الرحمن بن عوف من بكاء النبي ﷺ؛ لأنه لم يعهد عليه مثل هذا من قبل، ذهب الطيبي إلى أن قوله: (وأنت يا رسول الله؟) «فيه معنى التعجب، والواو تستدعي معطوفًا عليه، أي الناس لا يصبرون على المصيبة وأنت تفعل كفعلهم، كأنه تعجب لذلك منه مع عهده منه أن يحث على الصبر وينهى عن الجزع»[(٢)].

فأجابه المصطفى ﷺ بأنها رحمة، وكأن هذه الحالة التي عليها الرسول ﷺ هي رقة القلب على الولد، وليست جزعًا[(٣)].

وجاء البكاء بمعنى الحزن في مواضع أخرى عديدة في صحيح البخاري[(٤)].

---

(١) فتح الباري (٢٠٧/٣).

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق نفسه الصفحة بتصرف.

(٤) ينظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد، حديث رقم ٤٠٨٠، وكتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله تعالى: ﴿ ==

ب- الفرح والاستبشار:

جاءت الحركة الجسدية المركبة من (الدمع وصوت الفم وتغير أسارير الوجه) بمعنى الفرح والاستبشار في الموضعين التاليين:

١- رُوِي عن عمرو بن مرة أنه قال: «قَالَ لي النَّبِيُّ ﷺ: اقْرَأْ عليَّ، قلت: آقْرَأ عليك وَعَلَيْكَ أُنْزل؟ قال: فإني أُحِبُّ أن أسْمَعَهُ من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] قال: أمسِك، فإذا عينَاهُ تَذْرِفَان»[(١)].

التوجيه:

يصور هذا الحديث حالة التأثير العميق التي انتابت المصطفى ﷺ عندما قُرِأت عليه هذه الآية، فما كان منه إلا أن اغرورقت عيناه بالدموع ثم سال منها الدمع.

وبكاء النبي ﷺ يحتمل عدة معانٍ، منها: الفرح، أو الحزن، أو الخوف، أو العظة.

==

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ حديث رقم (٤٤١٨) – وكتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٦٢٣؛ وكتاب الجنائز، باب البكاء على المريض، حديث رقم ١٣٠٤، وكتاب مواقيت الصلاة، باب تضييع الصلاة عن وقتها، حديث رقم ٥٣٠، وكتاب الجنائز، باب من يدخل قبر المرأة، حديث رقم ١٣٤٢.

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾، حديث رقم ٤٥٨٢.

قال بدر الدين العيني: «وفي بكاء النبي ﷺ وجوه، **الأول**: قال ابن الجوزي: بكاؤه ﷺ عند هذه الآية الكريمة؛ لأنه لا بد من أداء الشهادة والحكم على المشهود عليه إنما يكون بقبول الشاهد، فلما كان ﷺ هو الشاهد وهو الشافع بكى على المفرطين منهم. **الثاني**: أنه بكى لِعِظَم ما تضمنته هذه الآية الكريمة من هول المطلع وشدة الأمر، إذ يؤتى بالأنبياء لإشهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب. **والثالث**: أنه بكى فرحًا لقبول شهادة أمته ﷺ يوم القيامة وقبول تزكيته لهم في ذلك اليوم العظيم»[(١)].

ويتضح مما قاله العيني: أن المصطفى ﷺ بكى إما حُزنًا على المفرطين من أمته باعتباره سيكون شاهدًا وشافعًا لأمته يوم القيامة، وإما خوفًا على أمته من شدة الموقف، أو فرحًا لقبول شهادة أمته، وقبول تزكيته لهم يوم القيامة.

وذهب القسطلاني إلى أنه «بكاء فرح لا بكاء جزع؛ لأنه تعالى جعل أمته شهداء على سائر الأمم»[(٢)]، وذهب ابن حجر إلى أنه ﷺ بكى «رحمة لأمته؛ لأنه علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيمًا فقد يفضي إلى تعذيبهم»[(٣)].

وكأن ابن حجر يشير إلى أن دلالة بكاء النبي ﷺ هي الخوف على أمته والشفقة عليهم. وذهب ابن عاشور إلى أن حالة البكاء التي انتابت

---

(١) عمدة القاري (٢٣٢/١٨، ٢٣٣).

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، شهاب الدين القسطلاني (٨٣/٧)، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر، ١٣٢٦هـ.

(٣) فتح الباري (٧١٦/٨).

المصطفى ﷺ دلالة على «شعور مجتمع فيه دلائل عظيمة: وهي المسرة بتشريف الله إياه في ذلك المشهد العظيم، وتصديق المؤمنين إياه في التبليغ، ورؤية الخيرات التي أنجزت لهم بواسطته، والأسف على ما لحق بقية أمته من العذاب على تكذيبه، ومشاهدة ندمهم على معصيته، والبكاء ترجمان رحمة ومسرة وأسف وبهجة»[1].

فكأن في بكاء النبي ﷺ دلالات متعددة، هي الشفقة، والحزن، والمسرة، والبهجة، ولا توجد قرينة تحدد أحد هذه المعاني، فتكون المعاني كلها مرادة، وهذا ما يسمى بالسياق الصفري[2] الذي يعني أن كل المعاني مرادة للقائل طالما أنه ليس هناك قرينة ترجح أحد المعاني المرادة.

(١) التحرير والتنوير (٥٨/٥).

(٢) السياق الصفري هو: عدم وجود قرينة تحدد المعنى المراد من المعاني المحتملة وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾، فالرغبة -هنا- يحتمل أن تكون بمعنى المحبة ويحتمل أن تكون بمعنى الكراهية، والذي يُحدد ذلك هو عنصر السياق اللغوي، المتمثل في حرف الجر، وإذا كان هذا الحرف هو «في» تحددت الرغبة بالمحبة، وإذا كان الحرف هو «عن» كان المعنى الكراهية، وإذا لم يذكر أيٍ من هذين الحرفين أصبح الأمر محتملًا بكلا المعنيين، وكأن المولى قد نهانا عن أخذ ميراث اليتامى سواء كنَّ جميلات نرغب في نكاحهن، أم كن دميمات نرغب عن نكاحهن». دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص١٧٢، ١٧٣، ويسمَّى هذا السياق بالسياق الذهني أو السلبي. ينظر: المشترك الأسلوبي في الخبر والاستخبار في ضوء ما ورد في القرآن: دراسة تحليلية، ص٩، ص٤٢.

٢-ومثله ما رُوي عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال النبي ﷺ لأُبَيّ: إنَّ الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ، قال: وسمَّاني؟ قال: نعم، فبكى»(١).

التوجيه:

يصور هذا الحديث حال أبيّ بن كعب حينما أ خبره المصطفى ﷺ أن الله أمره أن يقرأ عليه ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [البيِّنة: ١]، فما كان من أبيّ إلا أن تأثر تأثرً شديدًا فبكى، قال ابن حجر: «بكى إما فرحًا وسرورًا بذلك، وإما خشوعًا وخوفًا من التقصير في شكر تلك النعمة»(٢).

وذهب بعض العلماء إلى أن بكاء أُبيّ كان فرحًا وسرورًا واستبشارًا ؛ لأن المولى ﷻ أمر نبيه ـ ﷺ ـ أن يقرأ على أُبيّ، وذهب الإمام العيني إلى أنَّ بكاء «أبيّ» كان فرحًا، واستدلَّ على ذلك بقول القرطبي: «وفي رواية: آلله سمَّاني لك؟ بهمزة الاستفهام على التعجب منه إذ كان ذلك عنده مستبعدًا؛ لأن تسميته تعالى له وتعيينه ليقرأ عليه النبي ﷺ تشريف وتعظيم؛ فلذلك بكى من شدة الفرح والسرور»(٣).

ويمكن القول: إن بكاء أُبيّ بن كعب حركة جسدية تحتمل معاني متعددة، الفرح والسرور أو الخوف، أو الخشوع، أو التعجب، ولا توجد قرينة تحدد أحد هذه المعاني، فتكون المعاني كلها مرادة، فكأن أُبيًّا بكى فرحًا

(١) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أُبَيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم ٣٨٠٩.

(٢) فتح الباري (١٥٩/٧).

(٣) عمدة القاري (٣٧٤/١٦).

لتخصيص المولى ﷻ اسمه للنبي ﷺ ليقرأ عليه، وإما خوفًا من التقصير في شكر تلك النعمة، أو خشوعًا، أو تعجبًا من ذكر اسمه وهذا ما يسمى بالسياق الصفري.

ج- <u>الرغبة في استمالة الآخرين والتأثير فيهم:</u>

روي عن ابن عباس أنَّ زوجَ بَرِيرة كان عبدًا يقال له مُغِيث، كأنِّي أَنْظُر إليه يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُه تَسِيل[1] على لِحْيَتِهِ، فقال النَّبيُّ ﷺ لعباس،: يا عباسُ، ألا تعجبُ من حُبِّ مُغِيثٍ بَريرةَ، ومن بُغْض بَرِيرَةَ مُغِيثًا؟ فقال النبي ﷺ: لو راجَعْتِه، قالت: يا رسول الله تَأْمُرُني؟ (قال: إنما أنا أَشْفَع) قالت: لا حاجَةَ لي فيه»[2].

<u>التوجيه</u>:

يصور هذا الحديث حالة التأثير الشديد التي انتابت مغيثًا بعد أن رفضت بريرة الرجوع إلى عصمته، فحاول استمالتها بشتى الطرق، يظهر حبها، ويتردَّد خلفها في ظهر المدينة ويبكي ودموعه تسيل على لحيته محاولًا استمالتها والتأثير فيها دون جَدْوَى.

قال ابن حجر: «والعادة في مثل ذلك أن يميل القلب ولو كان نافرًا، فلما خالفت العادة وقع التعَجُّب»[3] حيث تعَجَّب الرسول ﷺ وأخذ يُعَجِّب العباس بقوله: (ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بُغض بريرة مغيثًا».

---

(١) مضارع (سال). قال ابن منظور: «سال الماء والشيء سيْلًا وسَيَلانًا: جرى" "والسَّيْل: الماء الكثير السائل» لسان العرب (س ي ل).

(٢) البخاري، كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة، حديث رقم (٥٢٨٣).

(٣) فتح الباري (٣٢٤/٩).

وبكاء مغيث وسيلان دموعه هنا حركة جسدية يقصد منها الرغبة في استمالة بريرة ومحاولة التأثير فيها للرجوع إليه، ويدل على ذلك :

السياق اللغوي الذي يتمثل في:

١-ما رواه ابن عباس في رواية أخرى: «كأني أنظر إليه يتبعها في سكك المدينة يبكي عليها»[(١)].

٢-الرواية الثالثة: «كأني أنظر إليه يطوف وراءها في سكك المدينة»[(٢)]، فسيره ودورانه خلفها في طرق المدينة ونواحيها فيه دلالة على أن المراد من الحركة الجسدية هنا محاولة استمالة بريرة والتأثير فيها.

والوسيلة التواصلية التي لجأ إليها مغيث كانت واضحة جلية فهمها المصطفى ﷺ فأخذ يتشفَّع لمغيث عند بريرة لترجع إلى عصمته بقوله: (لو رَاجَعْتِهِ)، كما أخذ يعجب العباس من حب مغيث لبريرة وبغضها إياه.

٢-<u>ثنايا + صوت الفم + الوجنتان والأسارير:</u>

إنَّ انبساط أسارير الوجه مع ظهور الثنايا، ويصاحب ذلك صدور صوت منخفض من الفم حركة جسدية تواصلية تعرف بالضحك[(٣)]،

---

(١) البخاري، كتاب الطلاق، باب خيار الأمة تحت العبد، حديث رقم ٥٢٨١.

(٢) السابق، حديث رقم ٥٢٨٢.

(٣) هناك فرق بين التبسُّم والضحك، فالتبسم هو فتح الشفتين، قال ابن منظور -فيما نقله عن الليث-: «تبسَم ... إذا فتح شفتيه كالمُكَاشِر) لسان العرب مادة (ب س م) وذكر الثعالبي أنَّ «التبسُّم أول مراتب الضحك، ثم الإهلاس وهو إخفاؤه، ثم الاقْتِرار والإنكلال وهما الضحك الحسن» فقه اللغة، ص١٧٠.
والتبسُّم عند ابن فارس هو: «إبداء مقدم الفم لمسرة وهو دون الضحك» مقاييس اللغة مادة (ب س م) (٢٤٩/١) وذهب ابن حجر إلى أن «التبسُّم: مبادئ الضحك من غير صوت، والضحك: انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور مع ==

وللضحك أحوال متعددة ودلالات مختلفة، فهناك ضحك المتعجب، وضحك المسرور، وضحك المُنْكِر، وضحك المُستهزِئ، وضحك الخجل، وضحك المُغْضب.

أ ـ جاء الضحك بمعنى السرور والفرح:

فيما رواه أبو بشر عن أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ «أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ، فَقَالُوا: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا، وَلاَ نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمِّ القُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفِلُ، فَبَرَأَ فَأَتَوْا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا: لاَ نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ وَقَالَ: وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ»(١).

التوجيه:

يحكي هذا الحديث حال حي من أحياء العرب أبَوْ أن يُضيفوا ناسًا من أصحاب النبي ﷺ، فلُدغ سيد الحي فأرادوا رقيته، فرقاه أبو سعيد بفاتحة

==

صوت خفي، فإن كان فيه صَوْت يُسمع من بعيد فهو القهقهة». روح المعاني، (١٧٩/١٩).

والضحك: هو انفراج الشفتين بشكل يسمح برؤية الثنايا والأضراس على صدور صوت الفم من الفرح أو العجب والسخرية. ينظر: الإشارات الجسمية، ص١٧٦، ودراسات تطبيقية في اللسانيات المعاصرة، ص١٥٣.

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الرُّقي بفاتحة الكتاب، حديث رقم ٥٧٣٦.

الكتاب، فأرادوا أن يأكلوا من الشاء فمنعهم الراقي[١]، فجاءوا إلى النبي ﷺ يسألوه فضحك، ثُمَّ تعجب من الراقي فقال له: وما أدراك أنها رقية؟ خذو الشيَاه واجعلولي معكم نصيبًا.

قال ابن حجر: «وكأنه أراد المبالغة في تأنيسهم»[٢] هنا سرورًا وفرحًا لعلم الصحابي بأن الفاتحة رقية فأمرهم بأخذ الشاة وطلب منهم أن يجعلوا له نصيبًا.

والذي يدل على أن الضحك هنا للسرور:

السياق الخارجي (سياق المقام) الذي يتمثل في الظروف المحيطة بالقصة.

حيث رفض هذا الحي من أحياء العرب أن يضيفوا صحابة النبي ﷺ ولما لُدِغَ سيد الحي سعى له أصحابه بكل شيء، فلم ينفعه شيء فأتوا إلى أصحاب النبي ﷺ الذين لم يضيفوهم فطلبوا منهم أن يعاودوه، فاتفقوا معهم على أن يجعلوا لهم جُعْلًا، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فرقاه أبو سعيد بفاتحة الكتاب[٣].

وذهب ابن حجر إلى أن أبا سعيد لم يكن عنده علم متقدم بمشروعية الرقي بالفاتحة[٤] ولهذا قال له أصحابه لما رجع: «أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقَية أو كُنْتَ ترقي؟ قال: لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب» [٥].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإجازة، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، حديث رقم ٢٢٧٦.

(٢) فتح الباري (٥٣٤/٤).

(٣) ينظر: تفصيل ذلك في حديث رقم ٢٢٧٦.

(٤) فتح الباري (٥٣٤/٤).

(٥) كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب، حديث رقم ٥٠٠٧.

فلما أرادوا الاقتسام رفض أبو سعيد، وطلب منهم أن يذهبوا إلى النبي ﷺ يستفتونه في هذا الأمر، فذهبوا إليه ﷺ فصوَّب فعلهم وضحك سرورًا بما فعلوه، ولأخذهم جُعْلًا من القوم البخلاء.

ب ـ جاء الضحك بمعنى التعجب:

في رواية الزُّهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة حينما جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو له أنه وقع على امرأته وهو صائم، فسأله النبي ﷺ: هَلْ تَجِدْ رَقَبةً تُعْتِقُهَا، فقالَ الرَّجُلُ: لا، ثم سأله المصطفى ﷺ: هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين، فقال الرجل: لا، فأذن له النبي ﷺ بِعَرَق فيه تمر، وقال له: خذه وتصدَّق به، (فقال الرجلُ: على أَفْقَرَ مِنِّي يا رسُولَ الله؟ فو الله ما بَيْنَ لَابَتَيْهَا - يُرِيد الحَرَّتَيْنِ- أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ من أهلِ بيتي، فَضَحِكَ النبيُّ ﷺ حتَّى بَدَتْ أنيَابُهُ، ثم قال: أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ)[1].

التوجيه:

ضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه تعجبًا من كلام الرجل ، ذهب ابن حجر إلى أن «سبب ضحكه ﷺ كان من تباين حال الرجل؛ حيث جاء خائفًا على نفسه راغبًا في فدائها مهما أمكنه، فلما وجد الرخصة طمع في أن يأكل ما أعطيه من الكفارة، وقيل: ضحك من حال الرجل في مقاطع كلامه وحسن تأتيه وتلطفه في الخطاب وحسن توسله في توصله على المقصود»[2].

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان، حديث رقم ١٩٣٦.
(٢) فتح الباري (٢٠٢/٤).

ويبدو أن ضحك النبي ﷺ كان تعجبًا من كلام الرجل ، ويدل على ذلك:

السياق الخارجي الذي يتمثل في حال هذا الرجل الذي جاء في البداية خائفًا فزعًا، حيث أخبر المصطفى ﷺ (أنَّه احْترق) [(١)]، وفي رواية الزُّهَرِي عن حُمَيد: (هلكت) [(٢)]- وأراد أن يفدي نفسه بأي وسيلة كانت، فلما رخَّص له النبي ﷺ في أخذ عِرَق فيه تمر ليتصدَّق به، طمع أن يأخذه هو، حيث قال: (فو الله ما بين لابتيها أهل بيت أفقر من أهل بيتي)؛ لذا ضحك النبي ﷺ تعجبًا من حاله.

ج ـ جاء الضحك بمعنى السخرية والاستهزاء:

فيما رُوي عن عمر بن ميمون عن عبد الله من أن جمعًا من قريش رأوا رسول الله ﷺ يصلي، فاتفقوا على أن يقومَ أحدُهم إلى جَزُورِ آلِ فُلَانٍ فيعمِدُ إلى فَرْثِهَا ودَمِهَا وسَلَاها فيجيءُ به ثم يضعه بين كتفي المصطفى ﷺ في سجوده، ففعلوا وثبت النبي ﷺ ساجدًا (فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بعضُهُمْ إِلى بَعْضٍ من الضَّحِكِ، فانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إلى فاطمةَ ڤ -وهي جُوَيْرِيةٌ - فأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وثبتَ النبيُّ ﷺ ساجدًا حتى ألقَتْهُ عنهُ، وأقبلَتْ عَلَيْهِمْ تسُبُّهم، فَلَمَّا

(١) البخاري، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان، حديث رقم ١٩٣٥.

(٢) البخاري، كتاب كفارات الأيمان، باب يعطى في الكفارة عشرة مساكين قريبًا كان أو بعيد، حديث رقم ٦٧١١.

قَضَى رسولُ الله ﷺ الصَّلَاةَ، قال: اللهُمَّ عليكَ بِقُرَيْشٍ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيش، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيش ...»[1].

التوجيه:

ضحك المشركون استهزاءً بالنبي ﷺ وسخرية منه، والذي يدل على أن الضحك -هنا- بمعنى الاستهزاء:

السياق الخارجي (سياق المقام) الذي يتمثل في اتفاقهم على الحط من شأنه ﷺ بوضع روث الجزور بين كتفيه الشريفتين.

ومما يؤكد السياق الخارجي: السياق اللغوي الذي يتمثل فيما رواه الراوي عن السيدة فاطمة أنها (أقبلت تسعى وثبت النبي ﷺ ساجدًا حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسُبُهم)، فضلًا عن دعاء المصطفى ﷺ عليهم بقوله: (اللهم عليك بقريش).

٣-شفتان + ثنايا + وجنتان وأسارير

إنَّ فتح الشفتين مع ظهور الثنايا مع انبساط أسارير الوجه حركة جسدية تواصلية تعرف بالتَبَسُّم، وهناك فرق بين التبسم والضحك[2]، ولهذه الحركة دلالات متعددة، منها: تبسم المتعجب، وتبسم المسرور، وتبسم المغضب، وقد وردت ابتسامة الغضب في حديث كعب بن مالك[3] أحد المخلفين عن غزوة تبوك؛ حيث طفق المتخلفون يعتذرون إليه ﷺ ويحلفون

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئًا من الأذى، حديث رقم ٥٢٠.

(٢) ينظر الفرق بين التبسم والضحك هامش ص ٣٣ .

(٣) هو حديث طويل اقتصرت فيه على موضع الشاهد.

له، وكانوا بضعة وثمانين رجلًا، (فقبل منهم النبي ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، فلما جاء كعب بن مالك وسلم على المصطفى ﷺ (تَبَسَّم تَبَسُّم المُغضَب، ثم قَال: تَعالَ، فجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَال لي: ما خلَّفك؟..)[1].

التوجيه:

يصوِّر هذا الحديث حال المصطفى ﷺ مع المتخلفين عن غزوة تبوك؛ حيث طفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له حتى قبل منهم المصطفى ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، فلما جاء كعب وسلم على المصطفى ﷺ تبَسَّم تبسُّم المُغْضَب والتبسم له دلالات متعددات، قد يكون سرورًا، وقد يكون تعجبًا، أو غضبًا، وتبسم المصطفى- ﷺ -هنا- كان غضبا، ويدل على ذلك:

١- السياق اللغوي الذي يتمثل في قوله: (تَبَسُّم المغضب) فهي قرينة لفظية على أن المراد من التبسم الغضب.
٢-السياق اللغوي الذي يتمثل في سياق الحديث كاملًا.

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، حديث رقم ٤٤١٨.

الخاتمـــة

بعد هذه المعايشة الممتعة مع أحاديث المصطفى ﷺ الواردة فى صحيح البخارى، خلص البحث إلى النتائج التالية:

١- يُعد الحديث الشريف سجلًا حافلًا بالحركات الجسدية المتنوعة ذات الدلالات المتعددة.

٢- استخدم الحديث الشريف الحركات الجسدية الصادرة عن أعضاء مختلفة كالرأس، واليد، والوجه والعينان وغيرها؛ لتحقيق التواصل وفقاً لما يقتضيه المقام.

٣- وردت الحركات البسيطة والحركات المركبة ذات الدلالات المتعددة فى الحديث الشريف.

٤- جاءت الحركة الجسدية معضدة للمنطوق ومؤكدة له كما فى حديث (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا).

٥- حلت الحركة الجسدية محل المنطوق كما فى حديث (قيل: يا رسول الله، وما الهرْج؟ فقال هكذا بيده فحرفها كأنه يريد القتل).

٦- لعب السياق بنوعية (الداخلي والخارجي) دورًا مهمًّا في تحديد المعنى المراد من المشترك الحركى.

٧- توقفت دلالة المشترك الحركي على السياق الداخلي بصورة أكبر من السياق الخارجى.

٨- نقل الرواة الأمناء بعض التغيرات التى طرأت على وجه النبى ﷺ فى مواقف مختلفة.

٩- اتضحت دلالات العين في مواضع متعددة في الأحاديث الواردة في صحيح البخاري، فقامت مقام الكلام، وأوضحت دلالات، فكانت ثم عين شاخصة، وعين محدقة، وعين راغبة، وعين متتبعة وغير ذلك.

١٠- عبرت الحركة الجسدية الصادرة عن المصطفى ﷺ عن مراده خير تعبير، عندما عجز لسانه الشريف عن الطلب لشدة مرضه كما فى حديث السواك.

١١- وردت الحركات الجسدية الثنائية وفوق الثنائية فى الأحاديث الواردة فى صحيح البخاري.

١٢- لعب السياق الصفري دورًا مُهمًّا في الدلالة على المشترك الحركي؛ حيث كانت المعاني المحتملة كلها مرادة لعدم وجود قرينة تحدد أحد هذه المعاني.

١٣- أوضح البحث رد فعل المتلقى كما ورد فى الحديث الشريف وكما حكاها الراوى.

١٤- الاطراد الواضح لظاهرة المشترك الحركي فى الأحاديث الشريفة الواردة في صحيح البخاري تدل على أهمية الأنظمة غير اللغوية فى عملية التواصل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين (وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)

المصـــادر والمراجـــع

الاتصـال اللغـوي عـن طريـق الجلـد: د. أحمـد مختـار عمـر، مجلـة العربـي، ع٣٥٧، أغسطس، ١٩٨٨م.

الاتصـــال والإعـــلام: صـــالح خليـــل أبـــو إســـبع، دار آدم للدراســـات والنشـــر والتوزيع عمان، ط ٤، ٢٠٠٤م

إتحـاف فُضـلاء البشـر فـي القراءات الأربعـة عشـر، البنـا الـدمياطي، وضـع حواشيه: أنس مهرة، ص٥٥٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنـان، ٢٠٠١م.

أثر السياق فى فهم النص القرآنى، د. عبد الرحمن بودرع ، بحث منشور فى مجلة الإحياء، ع٢٥، جمادى الثانية١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

إرشـاد السـارى لشـرح صـحيح البخـارى، شـهاب الـدين القسـطلانى، المطبعـة الكبرى الأميرية، بولاق- مصر، ١٣٢٦هـ.

أسباب النزول: النيسابورى، عالم الكتب، بيروت – لبنان.

الإشـارات الجسـمية: د. كـريم زكـي حسـام الـدين، ط الأولـى (١٤١٠هــ - ١٩٩١)، مكتبة الأنجلو المصرية.

الأمالى: أبو على القالي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

أنا واللغة والمجتمع: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٠م.

الأنـس والعـرس، منصـور بـن الحسـين الآبـى، تحقيـق: إيفيلـين فريـديار، ط الأولى، دار النمير- بيروت،١٩٩١م.

البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ. عـادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٢، ٢٠٠٧م.

البيان بلا لسان ، د. مهدى أسعد عرار، جامعة بيرزيت، د. ت.

البيـان والتبيـين: الجـاحظ، تحقيـق وشـرح: عبـد السـلام محمد هـارون، مكتبـة الخانجى- القاهرة، ط ٧، ١٩٩٨م.

تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدى، اعتنى به ووضع حواشيه: د. عبد المنعم خليل إبراهيم، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٧م .

تاج اللغة وصحاح العربية:الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

تفسير البيضاوى المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الإمام القاضى ناصر الدين أبى سعيد عبد الله أبى عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى، تحقيق الشيخ/ عبد القادر عرفات، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٩٩٦م.

تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس.

تفسير الشعراوى: الشيخ. محمد متولي الشعراوى، أخبار اليوم، قطاع الثقافة.

التواصل غير الكلامي بين الخطاب العربي القديم والنظر الراهن: محمد نادر سراج، الفكر العربي المعاصر، لبنان، ع ٨٠ و٨١، ١٩٩٠م.

الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن محسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٦م.

الخصائص: ابن جنى، تحقيق: محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣، ١٩٨٦م.

دراسات تطبيقية في اللسانيات المعاصرة: د. ثناء محمد سالم، در الصحوة للطباعة والنشر، ط١، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

دراسات فى علم اللغة، د. فاطمة محجوب، دار النهضة العربية، ١٩٧٦م.

دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث: د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوى، طبعة دار المنار- القاهرة،١٩٩١م.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى: الألوسى البغدادي، دار إحياء التراث العربي - (بيروت – لبنان).

شرح ديوان الحماسة، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى، نشره: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، ط الأولى، دار الجيل ـ بيروت، ١٩٩١م.

العقد الفريد: ابن عبد ربه، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ٢٠١١م.

علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب، ط الخامسة، ١٩٩٨م .

علم اللغة الاجتماعي: هدسون، ترجمة محمود عياد، عالم الكتب، ١٩٩٠م.

عمدة القارى شرح صحيح البخارى، الإمام بدر الدين أبى محمد محمود بن أحمد العينى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط الأولى، ٢٠٠١م ـ ١٤٢١هـ.

فتح البارى بشرح صحيح البخارى، الإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلانى، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المطبعة السلفية- القاهرة، ١٤٠٧هـ.

الفراسة: محمد الرازى فخر الدين، تحقيق وتعليق: مصطفى عاشور، مكتبة القرآن ـ القاهرة.

فقه اللغة وسر العربية: الثعالبي، المطبعة الرحمانية- مصر، ١٩٢٧م.

فى علم اللغة العام: د. أبو السعود الفخرانى، دار اللوتس للطباعة.

القاموس المحيط: الفيروزابادى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م.

الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، د. حلمى خليل، دار المعرفة الجامعية، ط الثانية،١٩٩٨.

الكوثر الجارى إلى رياض أحاديث البخارى، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكورانى الشافعى، تحقيق الشيخ: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربى، بيروت- لبنان، ط الأولى، ٢٠٠٨م.

لسان العرب: ابن منظور، طبعة دار المعارف- القاهرة.

لغة الجسم وأثرها فى الإبانة: نماذج من التراث اللغوي والبلاغي، مهدي أسعد عراد، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٣٣، ع ١، ٢٠٠٦م.

لغة الحركات: ناتالى باكو، تعريب: سمير شيخانى، دار الجيل ـ بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.

اللغة واللون: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب- القاهرة، ط ٢، ١٩٩٧م.

اللغة وعلوم المجتمع: د. عبده الراجحى، ط ١٩٧٧م.

ما هي السيميولوجيا: برنارد توسان، ترجمة: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، ط ١، ١٩٩٤م.

مبادئ اللسانيات ، د.أحمد قدور، دار الفكر- دمشق، ط الثالثة، ٢٠٠٨م.

المشترك الأسلوبي في الخبر والاستخبار في ضوء ما ورد في القرآن ـ دراسة تحليلية": سوسن حسانين الهدهد- رسالة دكتوراه (٢٠٠٩م)- مخطوط في كلية الدراسات الإسلامية والعربية، فرع البنات بالقاهرة- جامعة الأزهر.

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبدالرحيم بن أحمد العباسى، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، عالم الكتب - بيروت، ١٩٤٧م.

معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، كتاب جماعي، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م.

مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.